قلاويد النواحي والأقطار • واستكانت بطلعته سعوده الأزمان
والأعصار • وأن تتمتع من ينبوع الخلافة بزلالها • وأن ينهل عذبها
وسلسالها • وأنجابت إليه المجادة فمنحته أعلامها • وجلابيبها
تقمصته في مقامها • ومن تقمصه إمامها • لغراء تحكم به من الحاكم ما
انتهى • وهو فيه من آثار انتصاره ما انتهى • **بيد** أن أزعجته
الخلافة الباطنة • ووقعت فيه الأيام عن غير انتماء • ممن يقول على
السماك وسموده • كالفتى لا يسمع العذل إنكاره • فلاح فيه وسمائه
ونجح فيه متابعه • وعم البسيطة جوده وجوده • واستحكمت فيه مودوده
وكنيته أبو محمد تسلسل الأئمة الأكابر • وارث المجد كابرا عن كابر • أدام
الله ملكه أيامه • وأظهر علوه وبرهانه • سلام عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته • ورضوانه الأعم وتحياته • **هذا** وقد ورد
علينا من مقامكم السامي • وجنابكم الكامل • خديمكم الأنجد والأقوى
معلمكم الأفخر • فقص علينا من خبركم ما أنتم له أهل • وما أنتم له مقر
من الفضل • فانتفعنا به عن قرومه وشيمه • وقضايا أهله وأرسه
فتنتح لنا من عالبه • ما أنزل بلسانه فعاليه • من خلف انقباضه من
جلاله فتصعر • وحسن أدبه من عظمته فتجرد • ومن أدبه احتمل
إلى اليمن مغيرا • ونخبره عنه من القائم عالبه مطلوبا ومصدرا
فأبشرن بنعمته بحاله • حسن إذ نعرف بطاعته ومآله • فبقي عليه

بعض ذا الذي فلم يملك منه نقيرا • ولا نفعا ولا قطميرا • وفقير
افتقر به الفقراء • وتوقف فيه الحسباء • فأعظم منافعه وكمافه
ويعجز الكل عن كفالته • فضاقت عليه الأرض عليه رحابها • وانصرفت
عليه أبوابها • فجاء مستشفعا بما تحفظون وأدركتم منه • والمقام الرفيع
والجناب المنيع • من الود القديم والخبر من الظاهر منه • والتعليم
فاستشفعوا اليوم الله فيما به • وراعوا ذمته وحرماته • وعطفوا
عليه واعطفوه • ومنوا بما بقي عليه من الآلاء أعتقوه • ولا
تجعلوا أن قد خلبا • وقطعوا دونه آماله ورحابه • كيف وقد لاذ
يلوذ بكم معتصم • واستمسك بحبل منكم غير منفصم • وأنتم
المقتدى بهم في المكارم • والمشكور البنين في المآثر وكرائم
الأكارم • تولى الله رعايتكم • وحرس بجمعه بمعاقلكم بجميل
صوله • وقوته وحوله • والسلام **وكتب أيضا** رضي
الله عنه مخاطبا للأمير وإمام ومجاوبا لهم لما استنصروه على حاميهم
بما نقضه الحر ليه وحربه • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
إلى الشرفاء والفقهاء والخاصة والعامة من أهل فاس العلي
أهل تجلاله منصبها البتام حيث الشرف اللباب • والعلم
الكامل العباب • والعقول الزكية والألباب • والفضائل
المشكلة الأشباب • لطالب الاكتساب • من الله عليهم وأوامن

397

لا يزال مشمولا • بعز ربنا من يمسك السموات والارض ان تزولا
وممن لهم لمن اراد لكم كيدا • والمنتزع لذي النعم من لون جحوده وعناده
مسببا لا يزال موصولا • لا منقبضا على الايام ولا منقبضا • بمنه
وطوله والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته • ورضوانه
الاعم وتحياته • **وبعد** فقد ورد علينا كتابكم الناعم
بالحال ومنهج • ودال على قلوب المومنين وخرج • وان كان مما
ورد وكدرا حصن فحسبت الاخبار من الايام فيله وكدره • فعز من
على المومن الواحد فكيف بالجمع • فكيف بتلك الفرقة التي هي
بمنزلة القطر بمنزلة البصر والسمع • ولذلك لم نزل على الايام
بل على الدوام • نهتم بامتثالها • ونتضرع الى الله في صلاح
امثالها واحوالها • ونستوهب لهم من الله تعالى نعمة ويكمل
الشكر بدوام نوالها • ونستمنح عنهم بوقاية ما يتسبب
لزوالها • فلم نخل فكرنا من انشغال • اذ تقطع ذا الود الاشفاق
بوقوع ما يقارن الكدر • ويباكر الشكر • مما عند الواقع الوقتية
الاخرى من كل • ونحمد نشعر بمن لا يخل ولما تقتضيه من علالة
تلك الفرقة وامثالها • والضالة في عماية الجفاء والظلمة
المتقدم عهدنا ان نثني عليهم امثال البراءة بزاد • او يفتحوا
لهم في اصلاح خلل ومنى • او يخاطبوهم بصورة امر ونهي

او

أو ينبهونهم على ما أجملوا أو يقوم من سلوكه ومصغ لقوله ورده كما قبلكم
الأثيم • وخطابكم الذي سوغ فيه النصيحة فيهم • فتنبيها
للبراء عن مقتضاه • فتبرعنا لما استحسنه وارتضاه • فيفتح
لنا الباب للمقال • ووجد الناصح وإن استصغر فينبه السبب
إلى المقال فقال • فأما إذا استرعوا الله • وعقد خنصرا عليه
فلا يخفى عليكم أنه خروج عن مناهج العادة • وإتباع لسبل المتعرفة
النادرة • وخروج الانتماء عن طوره • وتغرير فيه بطاقته ووسعه
موجب لاختلال النظام • والاكتساب في الأمور العظام فيتغلب
الحقائق • ويتغلب على المسالك الطرائق • ومن مراقي الرغبة فيما
أقيم فيه • تشرف الخاطر أن يفيد إلى ما ينافي الانتحال بأقصى
شعبه • فيتبع أن لا تكون من ذاك بشيء • ولا نشتغل بكل ما فيه
ولا فيه • إنما وجه ينفع ولا يضر • ولا يسلك فيه بغير العادة ولا
يمر • فلا إذا أوجز أو لا نستبشع فيه زمنا • بل نغرس فيه على
الوجه الأسد • ونستبشر فيه بالقوم سهولة • والله تعالى ييسر
الأمور • ويجبر بلطفه ورحمته فيما أن العسر والشرور • وأما
ما يجمع بابه • ويطابق انتسابه • فقد أفتى المقام أن ينبغي
الكلام فيه على أصوله • ولا يقتصر فيه على بعض فصوله
وإن كان على سبيل الإجمال • أو لتيسر التفصيل إلا على طريق التمثيل

لإهمال، فلا خفاء أن تلك المرتبة من مفاخر البلاد، وفخر لفئة
الطارف والتلاد، بمطالع الغرب، ومقام الشرق، والحضرة
التي يقال فيها المثل كل الصيد في جوف الفرا، والمرتبة التي
ساوت الركبان بتعريف اختيارها وما كان تعريفه فقصارى
جميع أسر المغرب وعشيرته، وحماه الراسخ وزنده، فمن جمعت
محاسن الدين والدنيا، ومناقب الفضائل بلا ثنيا، ومهما
كانت الانتسابات الرفيعة تحمل من غيرها وتجلب، فالعلم لكن
لا يستخرج من غيرها ولا يطلب، فيها عنصره المترجم، ومنبع عذبه
المورود للمنجد والمتهم، ومسوقه التي تحث إليه الركاب، وتضرب
الأقتاب، وتطول لمن يجد ولا ينزل البحر في الشتاء، وفي المنزل
كما لا خفاء بما وقع من عتاتها، ومكابرة حقوق أنعامها، فقد
خربوا فيها ذمما، وضيعوا فيها دما، وفعلوا في داخلها وناديها
ما لم تفعله تجار حجامعا وبنيها، فأصبح عن منابع مثواه، فقال انتم
أولاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، فخولوا أيدي الخراب على
كثير من المساجد والمدارس والصوامع، وسعى في خرابها الأعظم
الجامع، وحيل بين ذكر الله فيه والصلاة ومن صلى بها، ومن
أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها

الى

إلى أن تبقى عروشه من الدور والأمصار والبقاع • التي استولى
عليها الخراب والضياع • وتقوضت معاهد الكمال • ومساجد ترتحل
منها الآمال على الرحال • فلله أزمان منهاك مشفق • وأوهم
معصوم بعز وبرق • وأقوال متشعب • وعقائد مرتكب • فكم
انتهك من الحرم • وارتكب من الأمر المحرم • وكم أضيع من الحقوق
وارتفع من العقوق • وأعين من عالم من فضل وحجا • وأمسك على مسوه
يتوقع نزول البلاء به بلا خفاء • فما وزع عن ذلك وازع
ولا نزع نزاعا من خيفة الله فازع • وإن كانت منار السنة ترتفع في
زهادها • ونتجافى من أهلها بإخمادها • فمن عنت الأقوام متوقعة
الانتباه والالتئام لم تزل عن أهلها ممنوعة • والقلوب على ذلك
الافتراق مجموعة • إلى المسائل التي لم تخب نارها • ولم يتعطل بناء
الإنابة أوطارها • من تضييع أهل العلم والدين • وتعطيل مراسيم
العلم المطلوبة للمنتفعين • بحيث استحال اقتباسها • وانقطع ملمس والدين
الأزوار واقتباسها • ونصر مناهج غير قطار بينها • وتحولها عن
قصد واضحها • ومن أخطب الجامع الأعظم والعامة • وصاحب
العشور ومن منتصبه بحب أعطائه واحتراقه والكرامة • فموت
منازلهم لا • ومغانيه البشرة أزمنة وأزلا • وحقه من والقيام به
متعين • ولولاه انطوى الحقيقة بليد لا وقائه • وكم من فقيه وشيخ

ومنكرو صنيعه • وعمهم من ليل الجفون المغلوقة • وألهم إلهام
المشوقة • فلم يقنعوا من مشوقهم • واستولى الظلام على قلوبهم
فقاسوا الشدائد • ولم يزدهم عن حوضهم ذائد • ولبث السالكين نحوا أواما
من أعوام • ولم تثمر منهم الأغراس • فقضيت عليهم المغارم والملازم ويلزموا
من الأمور ما ليس لهم بلازم • حتى مثل التوظيف المشروق • والتسويف
ثم لم تغن الخلافة • عن السالكين فتوة فلاقة • بل منهم بقي ببلاد الغرب واشتهر
الحجر • بغالي الثمن على ما كان من أن تباع الأسعار • وقد كانوا بهم يلازم
الليل والنهار إلى ما قدر ومن زال الحجر • مما أنتم أعرف به وأدرى • ومن
علم الله تعالى أنه ليس من أن ما أنجع من ذكره متضاعفة • ولملحوظ بكم
من أمرائه مضاعفة • ولأكنه النصح • فتستلزم من أن سنده إن فما الله
حلاوة النجح • فما فيه من حط وغير من حط على وبر • وليس يعزب عنكم أن
الجماعة على الترتيبة • إنما تثبت ما ذكر من الأمور المبينة • فهي منها
مطمعة وعليها معينة • فتقاضى لها الإعانة فتقاضي الغرم مديمة
ولو جعلتم مثلها مالها • وكانوا حسنتها وجمالها • لم تشغلوا بها
الصلاح المعتبر • ولم تكن لها أثر المعتبر • وإن عرض شيء من ذلك
منها وجدنا عند المسالك • فلولا ما هو ما الكائنة • ولو عظموها
في النفوس لعظمتهم وما أقامتهم • فما أبقى الاشتغال الآن فبل نفسه
وما دخلت عليه الراحلة إلا من جنسه • فهو على الحقيقة منتسب

بذالك ومن التمادي • وكيف الخلاص من الغرور إذا كان عدوه من اضلاعه • ومن امثلة العامة ليس بعم من يبصر وقد النار • ومن ضاع عليه عقله لم ينفعه اتباع الرجال • ثم ان من نزوع الذنوب يحصل لا محالة المطلوب • وانما ذكرنا لكم امثالا من قبلكم معروفا وان لم يكن معروفا • وبينا لكم لما عصوا ليكون الردع عندهم مضمرا وان لم يكن مضمرا وكان لا مضمرا • لتستحضروا العلة التي من اهم العلل والزلة التي استتبعت الالام والزلازل كما ذكرتم عن العقوبة اللاحقة والعقوبة التي من لواحق الذنب مقابلة • الموجبة للمتلبسين من الخاص والعام المؤذنة بجزاء مقرر من العقاب والانتقام • فنستكفي الله تعالى منهما • ومن وجد في حرمنا الخير منا وامرنا • الخالص من قمامة ذلك الغراس ونمائه ذلك القياس • فانه عارض منه اثم قليلة • وذلك المستحكم منه ومن حوله • وذلك من قبل الانشاء وكسبه • ومن اعمالهم تب عليه من جزاء ذنبه • **فقد قال تعالى** ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم **وفي** خطبة الحسن رضي الله عنه ما نزل بلاء الا بسبب ذنب • ولا ارتفع الا بسبب توبة • فليعتبر الغافل الرديء • ويعترف بتوبته من ذنبه • وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون • وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون • وتدبروا آية واذا قيل لهم لا تفسدوا في

الارض فلولا انكم متطلعون، ومتلمون الى قلب من تحبون ملكوت السموات
والارض واليه ترجعون، ولعزا هول المرء وهو فيه جبابا مولاه،
فهو الذي عنده مبرور، واليه معاده، ولا وجود له لولاه، ثم ان التوبة
بين ما صرفتم الافعال، ونسبتم لها النيات الحال، فليغز الفعل
بما عن القول، واستعينوا بمن له القوة والحول، فتحرزوه ان شاء
الله غيب الشرى، وقد علمتم ان ليس للانسان الا ما سعى ولا
سعيه سوف يرى، ومانزع عنه بعد كتابكم من قوله تعالى ان تنصروا
الله ينصركم خطاب عام، مشترك الانواع، فمن نصر الله على نفسه
نصره الله على غيره، وكان الكفيل له بابطال كل قاهر من غيره
هذا ما ابرزناه من النصيحة، واطلعنا فيه من السود
تحقيقه عن قلوب مودة لكم الخير كله، ونذود عنكم بمبلغ طاقتنا
الشر واهله، ونحقق الذي عنت له الوجوه، وصرف الامال
باهله ومن هو، فان صادفنا الصواب ووافقنا التوفيق فيما
اوتينا، فمنة من الله يجب شكرها، ومن موجبات الصالحات ذكرها
وان اخطانا فغير مستغرب، من الذي اوصافه العجز والتقرب
ونستغفر الله العظيم مما زلت به القدم، او طغى به القلم، ثم
المراد منكم ان تجاوبونا على ما تعرفونه منا من صواب او خطا،
وتكشفوا عن ذلك الوجه الغطا، وان تحضروا الملا الغراء، منزلا

الجواب

الجواب. كما حضروا الكافة ذوي الكتاب. حتى تجمع العقول
على أنه أحرى بالصواب في المنقول. والله تعالى يمن على الجميع بما فيه خيره
ويغفر لنا ولكم في كل قضاء يقضيه. والسلام. وفي الثالث والعشرين
من المحرم عام ستة وأربعين وألف **وكتب إليه بعض**
أمثل تلاميذه بما قصده حين من الله عليه بكمال السير الإمام العالم الأوحد
الحافظ المسند. فاضل العصر على الإطلاق. وحائز رتبة التقديم
في العلماء والاستحقاق. شيخ المشايخ أبي عبد الله سيدي محمد بن
الشيخ البركة القدوة علم الأعلام. وحسنة الليالي والأيام
القطب الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي الجمال سيدي أبي بكر بن محمد
الدلائي أمتع الله المسلمين بحياته. وأمدهم بعوائد البركات من
تلقائه. سلام كريم عميم. يخص ذلك المقام الكريم. ورحمة
الله تعالى وبركاته كتبه المحب من مقام ولي الله تعالى العظيم القدر
الشهير الذكر. سيدي أبي يعزى أفاض الله على جميعنا من بركاته عن
الخير والحمد لله وهمته الهمة سجاياه والمحب على ما تعهد سيادتكم
من اعتقاد المحبة التي من غير ما عمل صالح نرجوه ليوم المعاد. ونعتقد
بها للاستظلال بظل العرش بفضل الله غاية الاستعداد. وبنا
من الشوق لتلك السيادة على قدر المزار. وتنائي الأقطار وتوالي
الأوطار. ما يعجز عن استيفائه وصف البراعة. ويقصر عن مداه

الوزوقية

البليغ وإن تنوع في البلاغة والبراعة، إلا أن وردنا من المورد
العذب، والمورد الذي جمع أمثل الشرب وأمثل العذب، فاختصصنا
بقرب المزار.

وأبرح ما يكون الشوق يوما، إذا دنت الديار من الديار
فكادت تطير بنا أجنحة الشوق، وأملنا رؤيتكم فلم يكن لنا إلى
غير ما تشوق، لكن عن الخفة في الوقت عوائق من حالت دون الأمل وأحالت
على فؤادك من الفاجعة لأن فيما نستقبل، ومن جملتها تلك الأعذار التي
منها ما يطول، استعجال السفر من محبينا في من الشهر لعذر له
مقبول، ولم يمكننا الانفصال عنه وغير من ذا فإنهم فينا وأجمعي
والقلب لم تزل المحبة بيده تلك منهم وما، وعلى ما هكذا فلمه
الكمالات مقتبلها، وإن من الله فتح الله بيتنا بكم، ومن علينا
من هنا بلقائكم، فالحمد على ما تقع فيه، مما الذي تعز ما تقع فيه أجمعه
ومن أوفى أن شاء الله من الله سبحانه في الأجل، ومن فضله منه
سبحانه ببلوغ من الأمل، إن جمع الزمان وقلم في الزمع إن شاء
الله تعالى، ومن المسؤول سبحانه في إبلاغ من الأمل، وتيسير
من العمل، فإن من جملة ما عزمنا على تعجيل الأوبة، والعزم من طول
الغيبة، فالكلام من فضل الشاء الذي يشق فيه السفر، مع تكاليف
تقلل ما فيه حيث المؤمن من العسر والمشقة، ونحن الآن نتطلب

من

406

من سيادتكم ودعاء يبلغنا ما أملنا ۔ ويمتعنا الكرامة حيث ملنا
ثم نسلم على من ثاوٍ فيها من فروع تلك الشجرة الشماء التي أصلها ثابت
وفرعها في السماء ۔ أبقى الله فضل من كتبتم ۔ وأسعف سلوكهم ومن كتبتم
ونسلم على من تشمله تلك الزاوية المحوطة انتسبوا وحرمتها
والسلام ۔

الفصل الثاني في وفاته
رضي الله عنه

اعلم أن البداية دليل النهاية ۔ وقد تقدمت بداية هذا الشيخ الجليل ۔ وحاله فيها على الإجمال والتفصيل ۔ وأما نهايته فحالها لا يخفى ۔ وشأن الباحث عنها لا يخفى ۔ الخير رضي الله عنه من زار الزاوية وكليته ۔ فقد كملت له عند الله الأمنية وعلم أن الأخرى هي دار القرار ۔ فكان في دنياه على خطر من دار ۔ وعلم أن الحادي به نازل ۔ فكان بعد كلامه عشر وأمثل ۔ ومن علم مقدار ما طلب ۔ هان عليه ما عنه انقلب ۔ ومن كان حاله من عرف ربه ۔ وعمر بالله قالبه وقلبه ۔ لا يرى الوجود شيئا ولذلك كان فيه ظلا وفيئا ۔ سيما الشيخ وأمثاله من الأفاضل عن منزل المجاز مراحل ۔ ولذلك غلب عليه من بين الخلق والتحذير لهم مما يوجب عدم التبع من الانهماك في الشهوات

والتعلق بتابع الخلوات والجلوات ۔ لا يغني من الله أمرا
ولا يقطع من الله قدرا ۔ على سنة العارفين ۔ ومنهاج
السالكين ۔ ومن ثم لما احتضر قرب الوفاة ۔ وحصل ما لاح وات
جمع بنيه وأهله وقال موصيا بجوامع قوله ويعذر إليهم من
الأمر الذي أعلمه الله أنه يكون فيهم من بعده ۔ فيقطعهم ۔ فإني
قال الله العظيم إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه
فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده
وأنا أقول لكم ولا من اغترف غرفة بيده فيتيسر لهم من ذلك إلى ما
يجاوز قوته من أمر الرياسة بعده ويتطلعون به من أبهة الخلافة
وهذه المقالة من أنكر ما عليه بعض من تمسك بالكلامين
ولم يعلم ما في باطنه من السرائر ۔ فإن فيها معنى وهذه لكلام
نبي الله المخبر عنه ذلك **وأجاب** عن ذلك مخبرا الإمام
النبيه ۔ العالم الكبير ۔ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن المسناوي رضي
الله عنه بما صورته ۔ نقلا عن الشيخ الشهير ۔ العارف الكبير
سيدي محمد بن أبي بكر رحم الله جميعهم ۔ وفيه من أذواقهم من التنبيه
والتلويح والإشارة إذ قال الجنيد فيهم الوفا فضلهم وبعدهم
من الرياسة الزمنية والولاية والإمارة ۔ ويعذر إليهم من
تعاطي أشياء تلك التجارة ۔ خشية أن يطرأ عليهم قوله

تعالى

408

تعالى في كتابه المبين، فإن نحن نجاريهم، وما كانوا منتمين من
قبليهم إلى نيل التعليم والمزيد، ولا أراد للغرور وما في اللغة إلا ما
يريد، فإنه أن اللغة فيتعليمهم منهم إلى آخره **وأنا أقول**
لكم ولا مراغمة، فإنكم بغض الناس عليه من الكلام، ويشنع
عليه بغاية التشنيع والملام، إذ فاتهم قول المولى جل جلاله
بقوله، وعاد ضده مغايرة ضده المثيل بمثله، ومن تأمل وانصف
من الأفعال للنحو وما التحقيق انكشف، علم أنه لا موجب لهذا
الإنكار ولا مقتضي لهذا التشنيع عند ذوي الرسوخ، والأئمة
الشيوخ، فإن مورد القولين غير متحد ولا متفارد، حتى يعد
قوله جملة معارضا لقول الله تعالى ومقابلا له، وإنما الآية
في مراده على طريق المماثلة، واستعملت في المعقول الذي قصر
على جهة الاستعارة، ومن ذكر فيه جارية ممتلكة غير
منتسبة عند أحد من الأئمة ولا متروكة **ولما** كان الاستعمال
لا يجري في المصدر حرمانه في المورد لم يخل فيه اختيار الأول
كثير الكلام أو قليلا دون الثاني فإنه مرخص قليله دون كثيره
عن أعنة إلى ما قال وإن سلك العبارة المناسبة لمقتضى الحال
جار فيه وإلى ذلك على مقتضى الشرع فقد، ومثال الغلط في التحرز من
اشتباه البعير والغنم فقط، فكأنه فعول الأمر النهي الذي فعلوه

في معظم المخاطبين لينتفي كثير من أخطاء يطالبون الترخص لهم في
تناول النبيذ فيه مقدار دون الزائد عليه بل هو أشد في المنع
وأبلغ في الحظر لاستواء القليل والكثير في الامتناع وعدم
الرخصة في أدنى شيء منه لمن ليس له فيه نفوذ ولا اطلاع
فأما برئه من قبل وأما منه صحابته ولذلك من أعز الأمثلة والقرائن
والمعنى المشهور فلا يفاد بغير اللفظ المذكور أوليس في
الإمكان أبدع مما كان ولا يقال فما قبل الاستثناء كان في إفادة
المعنى المشار إليه لأن كلامنا في العموم فلما اقتصر القائل
عليه ملتمسا به ذلك العموم والمعنى المفهوم ليعلم من تغيير
الكلام لأنا نقول القائل يقتصر عليه لعلمه بفقد التخصيص
لاحتمال العام للتخصيص فإن دلالته كما عرف في فن الأصول على
شمول الأفراد ظنية وإن كانت على أصل المعنى قطعية والمقام
مقام اعتناء بالشأن واهتمام قطع شكه فيه من الدال الظاهر
التي يتطرق إليها الاحتمال إلى ما لا يقبل التخصيص الذي هو مقتضى
الحال وإنما التصريح الذي لا يخفى فقد اشتمل مع ما الفذة في التعميم
والتحذير من اشتباه القطيعة ولهذا مفهومه أن المصرح كالمورد
في جريان تلك الرخصة وأنه أشار بمجرد الآية إلى قطع العلقة
لاستيلاء الهوى في مثل هذا على أغلب عقول الناس فلا يغترن بمصوب

المذكور صح

بعم

بعض قياس ذلك القياس . فيتحقق قوله في ذلك الأمر بجملته
وقطع من كلمه أنه على المحجة . **فإن قيل** المنكر عليه
إنما منع امتناع القول الذي يعلم امتناعه إلى الله تعالى لا نفس
القول والمقابلة التي تشتم منها الجهة التسوية وإن لم يكن
مراده له في قوله قال الله وأنا أقول **فالجواب**
أنا لا نسلم امتناع المقابلة مطلقا مع اختلاف القولين وتباين
المدلولين وعدم مناقضة أحدهما للآخر معنى وإن وجدت صورة
وانتفاء المعارضة بينهما بوجه من الوجوه المحذورة إذ ليس في
ذلك إلا مجرد الإخبار بما قال الله جل وعلا في نازلة وبما قاله
الغير في أخرى ليشتمل كلامه مماثلة وعطف جملة الثاني على جملة
الأول وجمعهما في مساق واحد لإفادة المعنى المتحصل ومن ذا
ما قاله فيمنعه أحد أن ينتقصه . ولا ينسب من تكلم به إلى سوء أدب في
الأمر جاره وتعظيمه . **ومن** أقوى الأدلة على ما ذكرناه . والمقول
المشهور بما قررناه . قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة وقلت أنا أخرى
قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات وهو يدعو من دون
الله ندا دخل النار وقلت أنا من مات وهو لا يدعو من دون
الله ندا دخل الجنة أخرجه البخاري في صحيحه فهذا من مقابل

قول النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وان كان فلا شيء في ذلك
على الظاهر. فلو كان في مجرد المقابلة بين القولين ما يوهم من سوء
الادب وان انتفت المعارضة بين المعنيين لما اقر كعبا النبيء
ولا اقام حوله لما علم من كمال ادب الصحابة رضي الله عنهم
ولاسيما من كان مثله ولو رأى ان فيه منزعا لنهاه بلا شك فما كان
عليه اولى لهما **فان قيل** كلام ابن مسعود وانما هو تصريح بمفهوم
كلام النبي صلى الله عليه وسلم من قوله فيكون من الاقتران
بخلاف ما سبق من الكلام **فالجواب** ان الكلام
السابق وان لم يكن ماخوذا من تفسير الآية الكريمة المذكورة فهو
ماخوذ من غير ما من الاحاديث المشهورة على ان كلامنا انما هو
في المقابلة اللفظية والصورة القولية. ومن موجودة في
كلا القولين كما ترى. ومتساوية فيهما بلا افتراق. واما
المعنى فقد بينا ان الآية ليس فيها ما يحذر. وكلاهما يعاب على
قائله وينكر بجريانه على قانون الشريعة. وبناء على ما
يجب من سد الذريعة. **فان قيل** النظام مشترك في العبارتين
المتساويات. وفرق بين كلام الخالق والمخلوقات. **فالجواب**
انه مقام النبوة كمقام الالوهية في وجوب التعظيم والاحترام
والمحافظة على كمال الادب اللائق بالمقام. وان تباينت

الأوصاف، حتى ما بين المذكورين من الأفضال، فهما في وجوب
التعظيم سيان، وفي تعيين إفاضة الخير على من أسماه الأدب
عليهما مثلان، ويكفي في صحة الاسمين آلا بما ذكر والاحتجاج
الاشتراك في هذا الغرض المحتاج، وهذا ما ظهر لي وفق
الكفاية، والله يشهد أن لم يحملني عليه عصبية ولا قرابة
والسلام وكتب العبد الضعيف إلى مولاه الغني القدير محمد بن أحمد
ابن المسناوي ومحمد المصري بن زكري، والكلمة من المشكور ومشكوره
رحم الله الجميع بمنه انتهى بلفظه **وكتب عليها** الإمام أبو
عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي ما نصه الحمد لله
والصلاة والسلام على رسول الله ما سطر أعلاه من جمع
المقالة المنقولة عن الشيخ المذكور صحيحة حسن واف المقصد
في مسألة الرجعة ودال بمقتضى الحال والمقام على تعظيم حرمات
الله مجرد المقارنة بين الجملتين كالمقارنة بين الاسمين وبعطف
اسم الناس على اسم الله جل جلاله والأناس، حيث لا إيهام ولا
التباس، ودعوى المقابلة والمقارنة في محل المنع كما هو مبين
في باب المتكلم ما قصره الذي ولا يحمد عند الشافعين لما حقق في
الفرائد المبينة للمراد كما هو للأبي المعلوم، والله سبحانه
أعلم **وكتب** محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله له بمنه انتهى

بلفظه **وحاصله** أن كلام الشيخ رضي الله عنه من
قبيل الاستعارة التمثيلية التي هي تشبيه حالة بأخرى
كما في أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فيكون تشبيه حال تنبيه
وذويه بغيره بأصحابه كطالوت بجامع التحذير من أمر يوجب
البعد عن الله تعالى غير أن المورد والمضرب اختلفا من جهة
أن الأول لا يقتضي قليله والثاني يقتضي مطلقا فلذا لزم تغيير
لفظ الثاني فكأنه يقول قال لكم لكل الأصحاب كطالوت لكن الأمر
أشق عليكم وأبلغ في التحذير لكم أتم وحينئذ فيكون استعارة
تمثيلية مشروطة **فإن قيل** لم يعدوا المشروطة من
أقسامها **قلنا** لاعتقاد أنها مبنية على التشبيه وقد
ذكروا أنه يكون مشروطا كالإغراقية أن يجري في المبني ما
جرى في المبني عليه **وبالجملة** فكلام الشيخ رضي الله
عنه في غاية الإتقان • وعما يتعذر الإفصاح مصان • وكيف لا
وقوم جهابذ أمثل النبلاء • والمفزوع إليه في كل مشاء • وممن
قاله قبل أوانه الاحتفال • فكيف بوقته الانتقال إلى تحصيل
فيما الروح إلى الاطمئنان من أفعال الكامل • والمعرفة التي اشتهر فيها
من جهة الجملة والتفاصيل • والله يختص بفضله من يشاء من
الوجود • فلنرجع إلى المقصود • **فنقول** كأنه رضي الله

عنده في بعض الاوقات فينزل به من الاحوال الربانية فيه ويرد
عليه من الواردات الالاهية ما يثقل جسمه حتى لا يستطيع
النهوض فعند الان اعين او حمل الغير يحمله لغلبة سلطان
الحال عليه وقد وقع له ذلك مرة في يوم جمعة فحمل له الاخشب
عوض نعوشه ليثقل جسمه من الغلبة عظيمة ويد عليه ووقع
ووقع له ذلك مرة اخرى في اواخر عمره حتى كان من يرد اليه في
السماء يعالج في رفعه وتحويله من مكانه الى اخر احتاج
الى ذلك مشقة وتعب وساله بعض فقهائه ذات مرة عن
سبب ذلك الثقل فقال له ذلك من عظمة الله عز وجل
وتحرك ذات يوم لحال نزل به ووارد وما ان غلب عليه فجعل يقول
انا مصباح وما في انا فنور مل وما في انا ذوق وما في الامر ما خفي
الغير فقبل من فعلته الامر ما خفي الغير فقبل من فعلته الامر ما خفي
الغير فقبل من معتقه ه **ووجد** بخط مؤلف مرآة المحاسن
في كناشة له ما نصه وردت على الشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن ابي
بكر الدلائي رضوان الله عليه وارده فلبث الاميه في فراوقد
رسالة الامام الاستاذ ابي القاسم القشيري رضي الله عنه ليلة
السبت سابع رجب بعد العشاء واستمر به ذلك الوارد الى
صلاة العصر من يوم الاربعاء الحادي عشر منه من عام ستة

وأربعين وألف ومنذ آخر يوم من يونيه فمنذ مرض رضي الله عنه ودفن بالزاوية ضحوة الغد وهو يوم الخميس الاول من دجنبر وكان قبل موته بيسير أما يتمثل غيره وهو أول دجنبر فكان وعنده في أول يوم منه وذلك والله أعلم من موجب سؤاله عنه وكان رضي الله عنه أخبر لأيام أنه يوم الأربعاء يموت ويدخل في مجلس الحضرة النبوية ۔ وهذه إحدى مراتب الكرامة الحقيقية قال في نزهة الحادي ودفن ضحوة يوم الخميس المذكور بالزاوية في روضته والزاوية وبنيت عليه روضة فلا صفة لها وقبته حسنة بلغ الثناء فيها غايته وكان فقده على الناس من أعظم المصائب ۔ وعرفه ثلمة وقت العباد ومنهم من البلغاء طايب ۔ والتاريخ وفاته أشار الشيخ العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي السوسي صاحب المقنع بقوله

من أضحى في الشعر والمجد والكرم ... منزل الولي الرضي العقد والزمم
من أنجب لا مثل النبت فاعجبه ... محمد بن أبي بكر الرضى العلم
فمن مات في رجب لبده عام مهشو ... بدر الحقيقة الرضوان والنعم
من أجل الأعلام في تيسير روضته ... محمد الشيخ مولى العرب والعجم

بعدد نقط حروف لفظة مهشو من سنة وفاته رحمه الله

دسنا

416

ومنها الأبيات بروضة الشيخ مرفوعة كالأعلام ٭ تعرف نقلا
وتثبيتا ومن الآثار التي تحمي الأخبار ٭ وإن كان الشيخ
المذكور ٭ حاله في البلد عند مشهور ٭ غير أن الشعر أو موضوعه
المحفوظ ٭ ومن ذات عزم الرفقاء من المعقول ٭ ولم أر في هذا الباب
الذي منهم وفاه ٭ وأعظم منهم بالنفوس سخاء ٭ فتذكروا ٭ وإن كان
في الدموع مثوى ٭ ولا يجتنبوا من لآلئهم ٭ وإن كان تملكها أفنان هادم
فهذا ابن اللبانة فناء المعتمد بن عباد ٭ فرحم يوم عيد النحر
مع جمل الناس فذرعوا من منهوكة التراب ٭ عليه موقف على القبر
ميتهم وتبسم

ملك الملوك أسامع فأنادي ٭ أم قد عدتك عن الأمور عوادي
لما خلت منك القصور ولم تكن ٭ فيها كما قد كنت في الأعياد
قبلت في هذا الثرى لك خاضعا ٭ وجعلت قبرك موضع الإنشاد

وبكى ونوح والناس معه كذلك إلى أن غابت الغروب ولم يبال
بما يلحقه من أمير المسلمين الذي أمره بالعقوبات ٭ وإن لم يقدم من الأزمان
وإذا كان هذا لمن يقصر لعطاء الدنيا ٭ فكيف بمن به حياة الأبد
بلا فناء ٭ فهو أحق ٭ وبجميع ذلك ممتحق ٭ وكيف وقد كانت
الدنيا عاجلة ٭ والأخرى نازلة ٭ والآجال من الله مقسمة
والحوادث قضى ومدة منتظمة ٭ فبقل قبله يحول العويل ٭ وتنكره

كل أمل لاكن لا مرد للقضاء، ولا محيص عن الفناء، إلى الآن وأمل
وقد اجتمعوا من الفضائل بما جمعتهم وفاه، ووصلوا في عمر كان
فلو نطق الجماد لضحك من بكاه، وقال يا حسرة على العباد
كيف خلفوا الأموال والأولاد، لأكثر ما يفنى ولمن يفنى ويزاد
أنتم في الوالدين ومن انتفع فيهما، فإن من وفاه عن الزمان القاهر
ولله الأمر من قبل ومن بعد، **والذي** نقول العمدة
المذكورة على الشيخ وعلى الله عمدة منه وصاحب من الكبر الأمير
الأجل مولاي محمد الشيخ الأصغر بن الأمير الأسمى أبي المعالي مولاي
زيدان بن السلطان الجليل، الملك الجميل، عالم الأمراء، وأمير
العلماء، الأشرف المنصور أبي العباس مولاي أحمد المنصور، ابن
الملك الأسعد الحافظ للعهد الوفي بالعهد، أبي عبد الله محمد
الشيخ المدعو المهدي بن القائم بأمر الله الأول، الذي عليه منهم
المعول، أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن الزيداني الحسني السعدي
رحم الله الجميع بمنه وكرمه، كان من ولي العهد من الكبر وتمت له
نعمته بها بعد وفاة والده، ووفاة إخوته من بعده، فبعث
لمستمره في بعيده وبناء الروضة بقبتها علية عملا لا وصفا عما
وما لا، وإفادة من مثاله، وبعث من يقف على ذلك، فبنيت
على أحسن ما ينبغي من التنميق والتنبيه والتزويق، وكملت

وكلفة

وطلعت في أحسن وصف • وجاءتنا وبرزت في غاية الإتقان والوصف
ونعت بعض فقهاء من الشرفاء أبياتا وهو صاحب المقنع المذكور
الأبيات الأربعة المذكورة فكتبت في أعلا منبر القرويين انتهى
وقال في الأزهار العطرية ومن أمثال أفاضل الأولياء الشيخ
سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي سيدنا الجد أبو محمد عبد السلام بن الطيب
القادري الحسني رحمه الله بقوله
محمد الأشهر الدلائي **هاشمه** ه ملكت بقدره لحافنا وبمن حل
وصيت فوزونه في أنفس الأمراء أهل النسبة بالمغرب لعهده لما كانت
غايته في ذلك مع أهل النسبة والعلماء خصوصا وسائر الناس
عموما وعرفه حروفا مآثره من سنته ووفاته فكان عمره تسعة
وتسعين سنة أو ما يقرب منها أو ما نيف عليها بقليل وخلف عنه
رضي الله عنه ثمانية من الأولاد • كلهم أهل العلم والعرفاء
الأخيار والنبلاء • ومنهم سيدي محمد الحاج المتولي أمر الزاوية
بعده ووالد الرمايمة وسيدي المسناوي • وسيدي عبد الخالق • وسيدي
عمر وسيدي بوعمرو وسيدي الشاذلي وسيدي محمد المدعو المرابط وسيدي
الغزواني وسيدي أحمد وسيأتي بعضهم إن شاء الله بقدر الإمكان
ومن تناسل عنه من الأئمة الأعيان المشهرا الأولاد • **قال الشيخ**
الصالح أبو محمد عبد الله الخياط ابن محمد الهروي في كتابه كنوز

الأسرار في الصلاة على النبي المختار ۝ ورأيت مكتوبا بخط ولد
الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي أبي بكر الدلائي رضي الله عنهما
ما نصه من صلى بنية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة
واحدة ومن قام بها غفر الله له قبل أن يجلس ومن صلاها وهو جالس
غفر الله له قبل أن يقوم وهي اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك
النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

۝ الفصل الثالث في ذكر الشيخ أبي العباس ۝ سيدي أحمد المدعو الحارثي بن الشيخ سيدي ۝ أبي بكر الدلائي ۝

هو الشيخ الإمام ۝ العارف الهمام ۝ قدوة الأنام ۝ وشيخ الإسلام
وعمدة الأئمة الأعلام ۝ من أماط حجاب الإشكال عن مخدرات عرائس
العلوم ۝ وأبان مكنونات أبكار المعاني والفهوم ۝ محط رحال
الأفغاد ۝ وكعبة العليا لذوي الفهوم والأبعاد ۝ العالم العلامة الجليل
الحافظ الرحالة الماجد الأصيل المتقن المشارك في العلوم على
الإجمال والتفصيل ۝ نخبة السيادة والمجادة ۝ والسابق في حلبة
الجود والإفادة ۝ مشكاة العلماء النقاد ۝ ووارث سر الجماعة من الأمراء
ومبرز في البلاغة ومبرزها ۝ وعالم الدلالة ومفهمها ۝ ومظهر مشكلات
العلوم ومجليها ۝ وشيخنا ومفيدنا ۝ ومربينا وكافل الدواما ۝ وفارس

البراعة والمطلع به وامنا مفخر الفقهاء والعلماء وصدر
الصدور الكملاء ابو العباس احمد المدعو الحارثي ابن سيدنا الشيخ
الشهير النور الكبير العلم الراسخ شيخ المشايخ سيدي ابي بكر
الدلاي كان رضي الله عنه اماما كبيرا وعالما عاملا
وعارفا شهيرا واديبا ماهرا وبحرا زاخرا ذا همة سمت فوق
الكواكب وبلاغة وذهن ثاقب قرا العلوم ودرسها وتشير
الفضائل واستسما وحصل من العلوم على طائل وحاز من الفصاحة
ما اشكلت فيه الاواخر والاوائل ولم يزل رضي الله عنه بزاويتهم مقيم
بالدلاء ودرس بحضرة العلماء والاولياء واخذ بها عن والده واخيه
الشيخ سيدي محمد بن ابي بكر وغيرهما من الائمة الاخيار الذين كانوا يقصدونه عمه
زاويتهم المباركة من البوادي والامصار كالشيخ ابي العباس احمد بن
محمد ابن القاضي والشيخ ابي العباس احمد بن عمران الفاسي والشيخ ابي
الحسن علي بن عبد الواحد الانصاري السلوي والشيخ ابي حامد العربي
ابن الشيخ ابي المحاسن يوسف الفاسي **واجازه** الشيخ ابو حامد
المذكور ونص اجازته له ولفظها ومن خطه المبارك نقلتها
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا **محمد** وآله وصحبه وسلم
الحمد لله رب العالمين وبه استعين فمن اجل الفقيه الجليل النبيه
النبيل الماجد الاصيل المشارك في العلوم بالاجمال والتفصيل

نخبة الأمجاد، والسامي في حلبة الجود والإجادة، أبو العباس
أخو المرحوم الحاج ابن سيدنا الشيخ الشهير، الولي الكبير
العلم الراسخ، شيخ المشايخ، سيدي أبي بكر ابن الشيخ الولي
ذي الفضل الجلي، سيدي أبي عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي أبقى
الله بركتهم، وجعل التوفيق ملازم سكونهم وحركتهم، بعض
صحيح البخاري من رواية أبي ذر الهروي وناولته بعضه وأجزنا
له جميعه مطلقا بالإجازة وبالرواية المذكورة وغيرها من
الروايات التي تأدت إلينا بالأسانيد المتصلة المذكورة في
غير هذا وأسندنا له الرواية المذكورة منها بإسناد واحد
ثم كذا والاكتفاء عن سائر الأسانيد التي أبحت له الإسناد بها
عني عن شيخنا الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن قاسم
القصار رحمه الله سماعا عليه لبعضه ومناولة لبعضه وإجازة
لجميعه غير مرة عن شيخ الإسلام أبي النعيم رضوان بن عبد الله
عن شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن سقين عن شيخي الإسلام زكرياء
وأبي الفتح القلقشندي عن شيخ الإسلام ابن حجر عن أبي محمد عبد الله
ابن محمد بن سليمان المكي سماعا وإجازة لما فاته منه عن أبي
أحمد ابن أميم بن محمد بن أبي بكر الطبري عن أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي
حرمي المكي سماعا للأكثر وإجازة لبقيته قال أنبأنا عن أبي الحسن

علي بن حميد بن عمار الاطرابلسي عن أبي مكتوم عيسى بن الحافظ أبي ذر
عبد بن أحمد الهروي عن أبيه أبي ذر عن شيوخه الثلاثة أبي محمد عبد
الله بن أحمد بن حمويه السرخسي وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن
إبراهيم المستملي وأبي الهيثم محمد بن المكي بن زراع الكشميهني
جميعا عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري عن أبي عبد الله محمد بن
إسماعيل البخاري رضي الله عنهم فليرو ذلك إذا أراد الله توفيقه
متحريا في جميع ذلك مثل الذي فعله. والله تعالى ينفعه وينفع
به ويجعل أسباب السعادة موصولة بسببه. وبتاريخ أواسط
ذي القعدة عام ثمانية وثلاثين وألف وكتبه في التاريخ عبد الله
محمد العربي بن يوسف الفاسي لطف الله به وخار له بمنه اهـ

صح مما يتعلق

وكان لصاحب الترجمة رضي الله عنه اليد الطولى في
التاريخ والحساب واللغة والبيان والأدب والأصول والفقه
والتوقيت. عارفا بالماضي من الشعر والعروض. وكان يتأمل الكتاب
يسهو فيه عارما. ويعلو قراءته في طول عمره مداوما وعلى الجملة لم يكن
له بالمغرب فيه قرين. وله مختصر والفوائد ومنوال مختصر فيه
والفروق والكثير من العلوم وحفظه. وترك فيما مع الهموم
وتنبيه. إن فطن أمثاله آباؤه وأبناء قيده. ونقضا لمنحهم
ونحو قد. وله كتب أولى على ابن معلة بخطه. وله أشعار ورسالة

أمثال الشعراء بحسن قصائده وضبطه ، وصوّرها مثل الشمس
وقابلها مثل الميزان ، ومع تفننه في العلوم فهو في الشعر فرد
نمط ، وما بلغ أحد من شعراء عصره الغرر التي بلغ ، فلو سمعوا
النغم البدع ، والقول الفصل ، وقام الأعشى بين الكل في بيوته ، وقد خلوا
محجة وأيد التي حمل ، إذ كثر تقاطع من اعتقد كظهور الشمس في الحمل
وفريدا في العلماء معروفا ، وتمهد بالكرم والجود موصوف
فخرج به جماعة من العلماء من ذويه وغيرهم ، ولا زالت له قدم في
الكرم ، تلقى جماعة من المشايخ وافقوا على كمال التحكيم وتسليم
الإرادة عن والده ، وأخيه الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر ، اقتصر بعد
تضلعه في العلوم على الأخذ عنه ، والسلوك على يديه ، فأخذ عن
أخيه كثيرا من التفسير والحديث والتصوف ، فتحقق بمقامات
الفقر ، وتفجرت ينابيع المعرفة من قلبه على لسانه فتفجر الماء
المعين ، له شرح على مختصر ابن الحاجب ، وتقاييد كثيرة في التفسير
والحديث والفقه والأصلين والتصوف والعربية ، وله أجوبة
محققة في كثير من العلوم ، وله أنظام كثيرة ، وأشعار أدبية
ومكاتبة وأسجاع ، تستحسنها الطباع ، تنبئ عن طول باعه
واتساع اقتداره في الكلام وقواعده ، فمن نظمه رحمه الله
يا آملا للوصل إن تشتكو ۝ والحب فيه مرّه حلا

جاؤوا

فإذا المكرم بالعلو أميره ۝ أو ذي المقام حسنه وجلاه

ووجد بخط سيدي العربي الفاسي ما نصه كذا وقع الاختتام لسادس رمضان عام ثلاثة وأربعين وألف في مجلس قراءة البخاري بحضرة شيخ الإسلام أبي عبد الله سيدي محمد بن سيدنا الشيخ علم الأعلام الولي الصالح ۝ القطب الواضح ۝ سيدي أبي بكر أفاض الله علينا وعلى المسلمين من بركاتهم وقد طال المجلس وكانت مدته من قبل صلاة الظهر إلى غروب الشمس عقد ووقت العصر حضر وكتب الفقيه العلامة المتفنن الرواية الأديب البارع أبو العباس سيدي أحمد الملقب بالفاسي المذكور ارتجالا

قل للنهار التوح لا تقصروا ۝ والشمس في أفق السماء تخيم
فكأنما في اليم ظل سبيلها ۝ ومو مو يحكوا ولا تقصروا
أو كالجبان وراء الرماح تصاما ۝ بين الشجيع ثم عند تجهم
لا بل مع الثقلاء في تسهيد ۝ عبدو البرية تحمد ثم تكلم
يا شمس لا تخفت بمادي لشعد ۝ سيدي فإن العلو تحكي صوم

قال قلما طالع الإجازة الفقيه الفاضل العالم العلامة المحقق الأديب البارع البليغ أبو العباس سيدي أحمد عالم الأدباء وأديب العلماء قاضي الجماعة أبي الحسن علي بن عمران كتب تحتهما ما نصه

من أنكلامه في شمس منا ۝ لنجمها دمها ج فوز ۝

۝ على قفاء الطلعة ۝ نجوم سعد وسرور ۝
۝ ليبدوا أجملهما ۝ من فرار ومرور ۝

وكتب الشيخ الإمام ۝ الحبر الهمام ۝ فاتح المغرب وفخر المغرب على المشرق ۝ العلامة القاضي ۝ أبو عبد الله سيدي محمد المرابط ۝ إلى شيخ الشيوخ سيدي محمد بن أبي بكر الحميد صاحب الترجمة فيسأله عن مسئلة اللام المفارقة مثل لما صاحبتها أخبار المخففة من كان الفعلية أم لا بقوله

أيا خير من زان العصر علما ومن به ۝ تبسم ثغر النحو بعد عبوس
ومن جد لله بحسن محزمه النهى ۝ وعاد بمنزلة عليا بغير دروس
بحق الزمان الزاكي وكنا الوقيما ۝ إذا المفضل الودي وكل نفوس
إذا اتصلت أو مثل فتنسخ كحالها ۝ من فرق لما أم الطلقة بعكوس
فلا زلت تسعى على كل الزمانا ۝ إلى النكت وتسقينا بخمر كؤوس

فأجابه صاحب الترجمة بقوله

نعم منكما معنى لما كان قبلنا ۝ مع الأصل فلتة العز منه عبوس
ولا كنتما أن البسة موجب ملتبس ۝ أفاد والا هاكما النفي لبوس
كأن زينب برة أو حسننا جمالها ۝ وإن فاق عن ما العلى عروس
فلا زلت تثني في المحاضر شاعرا ۝ وتحيي رسوم العلم بعد دروس

وبالجملة فكان صاحب الترجمة رضي الله عنه ممن يقصر عن استقصاء

محاسنه الأقلام، وتكلّ دون منتهاها ألسنة الأقلام، أمره أشهر
من نار على علم، فكأنه فرد من تطلّع بحور العلم، فبرع في
الفنون، وغاص في لججها، فاستخرج من نفائسه ومنها المكنون
وأحرز أمد الحسن بكماله، وله في نفوس ذوي الإفضال سمات وأي سمات
وكلامه في أعلا البلاغة مشهور، ما بين منظوم ومنثور، ويشهد
لذلك فصاحته وزمنا بلده ولولا خوف السآمة لأتيت من
كلامه ما يتم له الغصن الرطيب، ويروي عنه سماعه ابن
خاقان وابن الخطيب، وكان رضي الله عنه زاهدا في الدنيا غير
ناظر إلى زهرتها، ولا ملتفت إلى زينتها، مقتصرا في أموره فعمله
بعيدا من التكلف مائلا إلى الأيتام مقتصرا من الدنيا على ما لا بد منه
موثرا للخمول والبعد من الناس معتزلا إلا الله لبس الجلابيب خشن
الأخلاق، ذا سمت حسن محبا لآل البيت النبوي ولطلبة العلم
والمنتسبين، مكرما لهم وللضعفاء والمساكين، دائم المطالعة
كثير المذاكرة، كثير الصمت كثير الصيام، متهجدا بالليل والناس نيام
لهاجا بذكر الله تعالى والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت وفاته رحمه الله في أوائل محرم الحرام سنة إحدى وخمسين
وألف، ودفن في السر على ما قيل. **قال في الأزهار الندية**
وقد تأخرت وفاته إلى أواخر المائة لأن الزعفراني أتى له حسبما

تلاميذه فمنهم ابنه توفي بفاس بعد خروجهم من الزاوية الدلائية
وغير منها بأهليهم ودفن بروضتهم بالقلاطين حفيده والدي الزميون
مع جماعة من أهليهم وذلك بعد الثمانين والألف والله أعلم
بذلك

الفصل الرابع في ذكر الشيخ سيدي الشرفي بن الشيخ سيدي أبي بكر الدلائي رضي الله عنه

هو الشيخ الإمام، الجهبذ الهمام، الحافظ الحجة العالم العلامة الجليل، المحصل النبيل الأصيل، الأوحد البارع المفلق أعجوبة الزمان حفظا وفهما، ونادرة العصر تحقيقا وعلما، علم أعلام النحاة، وصاحب الخلال المرتضاة، ورجل العربية وأسد مجالده، وعلامة العلم وفارس مجالسه، وعالم الرواية والمحصل للدراية، ورب البلاغة والفصاحة، ومن حاز ميراث الذكاء والسماحة، وفارس البيان والبراعة، ورب الكتابة واليراعة، أبو عبد الله سيدي الشرفي ابن الشيخ القدوة الكبير سيدي أبي بكر كان رحمه الله إماما في المعقول والمنقول، محصلا من العلوم ما تقصر عنه المدارك والعقول، متحل بعلوم بارعة ومجالس لأشتات العلوم جامعة، أنشأ وأجود من في الخطبة

فرادة

قراءة السبع من أول سورة البقرة وتخرج به جماعة له القدم الراسخ
في الإنشاء نظما ونثرا أحسن الإنشاء • وتقدم في عهد كتبة منشآة
وكان من مبرزي الزوايا ومن مبرزي الفقه • نابغ الإنشاء وفحول الكتبة
مطبوعا فوق الفصاحة • وإبداعا وإبداع البيان والفصاحة •

ولد رضي الله عنه بسلا ومات بالرباط سنة تسع عشرة والف
وقرأ أيضا على الأستاذ سيدي شعيب وعلى أخيه الشيخ سيدي محمد بن
أبي بكر وأخيه الشيخ سيدي أحمد الحارثي والشيخ أبي العباس سيدي
أحمد بن عمران السلاسي والشيخ أبي حامد سيدي العربي الفاسي
وغيرهم وأجازوه في كل ما لهم وعنهم رواية • وتخرج به جماعة
من فحوليه وغيرهم وكانت له يد في الأدب وقلمه كثير أمر المتناصح
وعمره قد في ذلك والده وأخوه سيدي محمد رضي الله عنهما وكان له
باع مديد في النحو واللغة والعربية والآداب والتواريخ العجيبة
ومع فقه مشهود له بالفروع والأصول فصيحة • ونقل ما هو في العروض
والمنطق والبناء • وعلم الكلام وتقسيم القراءة • وهو كل فنون
لهذه العلوم فائق وليس ريب فيها ملازم وعلى نهج قيمتها جار محليا
بالسكينة والتقوى • ملتزما للطاعة في السر والنجوى • إن حضر
مع الفقهاء مجلسا قبله فيتبعوه • وعلى قوله فيعولوه • وهو المصيب
في كلامه وقطعه • بنغوه ونفعه واتساع • تكلم في المذهب

وقدمه في التحقيق أو من قبله ، وأوجز ما قاله وأسهب ، وطاول
في الفروع ابن القاسم وأشهب ، وخاض في المعقول والمنقول
فبهر العقول ، ووفق التحقيق عند ما يقول ، ونصره في البصيرة
واطلاع القراءة وتفسيره ، ومراجعة الأسانيد وتيسيره ، وما عنده
في القراءات مزيد ، وزائده في الأحكام مزيد ، وبيته بيت علم
وكرم سحبه من الصون ذيلا ، وتقطع عنه من عز فوائده نواسم الجلالة
نهارا وليلا ، له شرح على الشفاء حافل وحاشية على المطول
وتفاسير كثيرة في جميع الفنون معتبرة ، وألف في الأصول ، ما لم يزل
به على الأقران يصول ، وقام للعروض بالنوافل والعروض
فنظم القصائد النفائس ، ففاق كل القلائد في إحماد القرائح شعر
وكلامه في أعلى البلاغة مشهور ، فإنه من منظوم ومنثور ، ويشهد
لذلك تمايله وقصائده وقد أثبت منها ما تشنف به المسامع
ويرتاح إلى إحيائه كل سامع ، فمن ذلك قوله يخاطب شيخه الإمام
المحقق أبا حامد العربي بن الشيخ العارف أبي المحاسن سيدي يوسف
الفاسي

أهدي السلام لمالكي وعمري ۝ متضوعا بالمسك والعبير
وأريد من مولاي في كرم ۝ قبل الشفاعة وإنها عمري
أن يقبلن ما قد بعثت به ۝ لجنابه ولنا لكل سهري

علم

سيدي أدام الله سعادتك • وأصلح في جميع الأمور إفادتك وبعد فقد
حملني على أن راعيت جانب الوداد • وجميل الاعتقاد • ولاكن يعز على
أيدك الله أن يقوم في زيارتكم ما أخلفه قلمي • عن إعمال قدمي •
ويشفع بزورة ينيلكم رسولي • دون وصولي • ويرد مشرع الأنس بكم
كتابي • دون ركابي • كما قيل

كتبتُ ولو قدرتُ هوًى وشوقا • لكنتُ إليك سطرا في الكتاب

لا زلتما الحلية والقوافي بوجهه لا سيما منزل المطر • الزهار فتنعما
وتزكو كل قطر • والسلام • فأجابه سيدي العربي المذكور بهذا القصيد
المزدوج المنشئ • وهو من نثر وارد ورد من بلاد مضمونه من عمل الذي أدهى

مولاي وما أبهى وما أنضر   لمجدك الأعلى وما أجدر
مغترف كيف منتق   لاكنه منتشر من الشعر
الغرر اللألاء أعمادها   لولاكم ما أشرق المجبر
إن تك في روحي بمار فيما   فليقبل النزول من العصر
تهدي سلاما كنسيم الصبا   جاءت بريا العنبر الورد
وتشكر النعماء من منعم   بكل إفضال لنا مضمر
صيغة المنشا حسنت بها   صفاته البيض من الشعر
ومن تخير الزبرج رتبها   مخلص النفر من النفر
وكل حور قد خلقنها   حوراء قد جاءت من الخدر

فوداه قد اطلعنا البدر   خالي من طالع السعر
وعقد شعرا بوفق لمه   فظلم وكسب الزرد بمغفر
طلع قائد في عسكر النصر كانه مقدم نمر
في اذن حرب من تسمادي بما   جياده تنفس ومن الجلل
فكانت قناه الحمراء جاءها   خط الغمام البارق النجر
وقطر من يحيا اناملـه   فك اللؤلؤ يجري على الورده
تنم من معاجد نفحة   مروي نشر الزهر عن الخير
متمم الوشي موشي الحلل   في صفحة الورد من الخمر
يذكر في عصر اقصى ما احتوى   في خفقه عيشه ناعم رغد
في وفد الله كرام فاق ا   وخلعوا افق منه عصر
قد ارفقتهم منه اوما افخم قد انه   مكرمه في زمن النبوة مهل
كيف يقول الشعر من عقله   مفتقد ما الشعر والعقد
يبسمه لوا نفعي واهل   ما زال في كل عرى عقدي
فمن الذ اقسمك في مسلكه   اوزي بما احتوى وزني
اجعلهم الله عماد الورى   وغاية الناس والرفد
وعلى الرحمه في كيفهم   مطرز ما السلك والخمر

يتبع الزينة في افق السماء جلالا • وكبر في فلك السعادة هلالا
ومن من نحا منهج البلاغة عن ما زلالا • ومن كلا وليا به من البحر

كتبها

كنفا ومنزا اوطلالا • أبقى الله تلك السيادة محروسة الجناب
مأنوسة أفناء الأفياء والأكناف • وصل مجملكم وصل الله لكم سرورا
مديدا • وسعدا لا يزال على الأيام جديدا • تلك الطرفة التي راقت
الطرف • وفاقت الوصف • ووقعت الطرفة منها على المطروف والطرف
من الملاذ بسمر والتذاذ وود • مغازلة الشادن بصغره كنقابه مجنة
كسلاسة النضار نضرة • وكالمقاسم الموشية نطل خضابها • والثغور
المرزومة في تحلب رضابها • فمن تشعب منهما وطاب أبكار أترابها • زنجية
الأديم • كأنما قد من الليل البهيم • لينة الأعطاف • رقيقة الأطراف
مجدولة مكان الوشاح لا كرملة الإزار دلاح • معسولة اللمى
محروسة الحمى • أشبه بما نزل • منزلة فاجه دلالها مقبل وجمالها
لا يوصف • ومن همها لا يكشف • وتثبت أمثالها مرهف • وتمرها منها عمر مرسوم
أو أمثالها لا يحصى • فإن أزعجتها النجاة • أو ضمها لحاف • فإن جميعها
كليما • وإن أتى بقلبه سليم فلا يعود إلا سليما •

• فأتته بقلبه بما أليم • وتبله كيف انصرفا •

ثنتها في الغيب مقروفة • وكم ريقة أوقد الحجيم عنها غير مصروفة
أول هبة مأنة أو أول معشوق عبا • وإنما يتبلغ من جناحها • ويقنعه
مناحها • من صدره في حيد • ورضي بقليبه • ومن زبد منشكا • أحسنه
الأوطاب • وابتدأ بمخض المخض • ومنوا الحال المحض • نشأة محضرد

كأنما هو ذو تاج در • فرقته الحواجل • وشق فيه من ومضه فواصل
فكأنما الجلاس من الجلاوس لعزة منهم المغارس • ممن يرى العاهية
فاترون النافجة • موضح من الجنوب مابه • إذ كأنما من هواطل ودق ضعيف
لقائه إذ لا مفر منهما • وإن مفر الوصل عنهما • فيجيء ماء وطلت
تلك السيادة من تلك الرحم الواشجة • والكرم من لحمتها الناسجة
بغر غمتها الناتجة • حمو مروءة أقوى الملامة • مجموع على العلامة
المستهامات • فبقاء السيادة البكرية جمع الشمل • وفتح علم العراء
بحكم الوصل أبو الدولة ذو الأيادي الأصفياء عادة • مجموعها بها المنتهى
والزيادة • وعلو الأيادي الأصفياء • مغز عز بهم عقباه • كأنما
على تلك العقول اعتقاد • أم رحت في دولة منا من رزق تمام • والنعمة
النعمة فيها أو إتمام • على أنهما أو الحمد النعيم • حمو الجحيم
محيا لها ومن النعيم تضوع عاد • ما زوا من النعيم الغمار
مجموعة تلك التحف المستظرفة • والطرف المستطرفة • مما اشتهرت
من بر بموليده • بحلة وحلية من حلواه وحليه • من نظم أو ذي الفلائد
في نحور الولائد • ونثر كما شاء فكاهة الغرائد • في مجوز الخرائد الكاعبة
فتجاوز من الإجادة • إلى الغاية • ومنها الدر النظيم والورد النثير
وتباري من المجادة • على درايته متكافئا بها القمر المنير • والفلك
الأثير • فيعتق من الخلفاء • الحرمة المستطاب • فانقضى الحليم ويتبين في

إلى القلوب فتسري النسيم • فيكاد يهز أعطاف الشيخ من عجز
وتستجير به في مضمار ما والشباب قد عجز • فتغازلني والعمر ولى متباعد
وتخاطبني وأين مني أشبابه • مثلا قبل المشيب • وأخلاه البرد
القشيب • والورد وما أكرر صفوا ولا شبيبة • فكيف حين لا ذكر ولا فكر •
ولا عرتك الأيام من مخبرة ذكر • من وقفك وما عقد بشير • وحواميك
ورد ومرة ممعن • فأحملك فرد • وتعاطيت ما اليسر لي وأملا لا أقل
وإنما أقرمه ارضاه • ورجوت إعضاده • فقال الشيخ فعلوم
والمقل محمود • غير ملوم • فأمرتني متزوده • وأسعفت بمقروده
وقابلته وقابلته فكلامته • وتشاغلت ولا أوهى المراضة • ولاكن
البين فحض • وتناسيت الشيب عن أرض • أعطافا الغزل • والتهاما
لبى • واعتنافا الرعوات • فتمكن صلحاته • فجبر الكسير • وتيسير
العسير • وتعدل القاري الأمير • انه والذي على الله يسير • وصلى الله
على سيدنا محمد وآله والسلام • ومن متضمنه للثناء على صاحب
الترجمة وتلبيها مغزاه • وكثير جوده وكريم نجاره • مع مدح أشياء
أخفقه بتمامه ورسالته التي منها جوابا عنها والله الموفق • وتوفي
صاحب هذه الرسالة سيد الفقيه المذكور رابع عشر ربيع الثاني
عام اثنين وخمسين وألف ومولده ولد سيد عشر الوضاب عام ثمانية
وتسعين وألف • ومن كلام صاحب الترجمة يخاطب العلامة

وأحب

435

المحقق ۔ الشاعر المفلق ۔ أبا نصر عبد المومن بن الشيخ سيدي العربي
الفاسي لما امتدح الحضرة رحمة بالجزول ۔

يا عابد المومن يا فريد ۔ غرست نباتا العلم فزاد أورقا ۔
بصفية روض النحو بعد الكلا ۔ بجزولة زادت فيه رونقا ۔

وسأل صاحب الترجمة يوما سيدي عبد المومن المذكور عن زوال الشمس وهما بمجلس الشفا بزنقة الشيخ القادري بالله سيدي محمد ابن الحاج بكر رضي الله عنهما بقوله

متى زوال الشمس يا أبا نصر أجب ۔ لا زال ظلك ممدودا على الأدب

فأجابه سيدي عبد المومن بقوله

فزوال الشمس لا زالت مكارمكم ۔ تنمو إلى الأفق في الدنيا مدى الحقب
وإن ذكا الشمس غابت في مغاربها ۔ فشمسكم في سماء الفضل لم تغب
وإن يك الأفق الغربي مطلعها ۔ فبالنبي يبدو الشمس من أدب

وله أيضا في خطابه سيدي عبد المومن المذكور بقوله

الفقه يبغي الإجابة منكم ۔ والحلم يحرم كالأسير الأعجم
إن السماحة والشمولة والنهى ۔ للمرء والإحسان خير متوسم
النزع من لحية ثبتا ببنتة حلمه ۔ والغم من فضل العقول بأسهم
أفعل من يبصر أن أنا لم أجبه ۔ عزما فسوف غدا لزين المطعم

وله أيضا ومن استعار منه سيدي عبد المومن المذكور كتابا

فلم يتمسك بالرقعة ثم أتاه بعد وأنشده
لا تأخذني بنسياني وإن كثرا * فالحلم منك وكل العتب من قبلي
فأجابه بقوله
جل فعالك عن عتب بمن نسيه * ومن سمو وهمة أوفت على زحل
ما كان عذري في قطع مؤاخذة * كيف ومن فضل المطلوب من أملي

وخاطبه أيضا بقوله

يا ابن الكرام الحائزين من العلا * رتبا سمت عن طامح أو رامق
وصل الكتاب كما أحب محبكم * يحكي الثمار بهيئة الأوراق
وثم وفضلكم الشفا لعبيدكم * لا دونكم من عامر أو واق

وخاطبه أيضا بقوله

يا سيدا ملأ القلوب جلالة * والأذن صيتا والعيون جمالا
إن الربيع الغض من صنائعه * وغدت تعول من البحور ثمالا

وخاطبه أيضا بقوله

* أيا من حوى الأدب المشتهر * ومن كل لحمرة أقارا *
* تفضل علي بمقلوب ضر * مصحفة من في خمسة قارا *

ومن كلام صاحب الترجمة

ألم غداة أزمع من أطالا * يوم الوداع كآبة وبلابلا
لما انثنى معرضا وثنى القد * أمسى يرى عفا وقال فلي قلى

ولهُ أيضا يخاطب سيدي العربي الفاسي المذكور

تحرّك بالغرائب من علاكا ۞ عيونُ الشعر ضوّ عمّها مغزاكا
جميع الشعر دون ما علاه سنا ۞ كذاك الناس دون ما علاكا

قال سيدي العربي المذكور وأنشدني شعرا له فاقصده

ومن كنتم وأمثالي جفاني ۞ لواعج التتيّم والشقاءِ
وأرّق مقلتي وأقام حزني وفعلا ۞ كأني منهم فمن الجفاءِ
أتاني منهم ما صابه قلبي ۞ على غلوائه فمن العناءِ
ضعيف الشاء يبتسم عن أقاح ۞ عليل طرفه رخص البناءِ
ذكرت به ليالي الأنس كانت ۞ كمنزلة الشباب من الغواني
وعلّق بالقلوب ولا اغتفارُ ۞ بمنزلة الربيع من الزمانِ

ولهُ أيضا رحمه الله

عنى من الشوق ما ألقاه ۞ يا من يعنّي عمّا في ۞
كضعف بحرو الشوق شجاعٌ ۞ والقلب قلب قد جفاه ۞
أوجم بوصلك مستهاما ۞ وأنظر بعينك في هوانِ ۞
جد لي بلطفك في فنائي ۞ يا ناظرا ومن في جفاني ۞

ولهُ أيضا رحمه الله

كلام قوم ولو فهم ۞ زادني في تنولي ۞
لست شيعي لفهمهم ۞ ما كوالي عن قلّي ۞

فغ

ضاع عيد تمتعي ◆ ومربع نعم لي ◆
من كتماني بمجرى ◆ بلبابير النزل ◆
وشفائي بجمرى ◆ اوفما كالاسر حنظل ◆
وجنناه كوردة ◆ او كزمن الفرفعيل ◆

وله ايضا رحمه الله

نجبت من وقع النوائب والخطوب ◆ ولذا انخلاص من الممالك والحروب
واعتز منتشر سناك ومن صحبته ◆ بسما الشعود من الكسوف من الغروب
من امن المامول من منير الورى ◆ فيه البطل والاصناه علام الغيوب

وله ايضا رحمه الله

كتبعه قيل الى المجون وخالقى ◆ فسموا الى التوفيع والتشبيب
من اوان الليل وانجز ثماره ◆ واغنم زمانك قبل الى شعوبا

وله ايضا يخاطب بعض اخوانه ويعظه

لا تعلقن بما تحقق من البشر ولا تزود بعد الاخوالفا
واشكر نعمة بشكوة القاصر الفرد ◆ او جاد للبعير من مولافا
وازرفعن تقوم لا قناطر مت ◆ ويسوقها اقتعوه اجافا
واغر من الود وتلطف فمن الفجع وتنصر عنه فنك القيفافا
ماخر الحجر مراد او رفق القبض امثالا او البر الخلاقا
ودنا واجمل المقادير وافتنا ◆ والمخامر واذ ثرى الاصفافا

واللهيب الذي أخمده الزمهرير انقضى وخمد أنفاسي تستطافا
بعدما أظرا بعطفه فيمشي الخلفاء تخاله ذفافا
بسامح الأفق وهم فتتسامى ٭ في أكنافها كما ومقعد وخافا
متماد وكأنه يختفي الأوز ٭ فراد ومساء وحلا الشغافا
دائم ومعا محفوف قيد مجمجما ٭ شعبها فيه فاجتنى الحرفافا
والكريم كالبدر يستمر أجلالا ٭ في تمام تسعد وكلا الغرافا

فأجابه فقيه قلا مزيد وهو الشريف سيدي محمد بن عبد الله بقوله

يا أيها المجير أنت ذو العفو والصفح عن العثرات جئنا إسعافا
لم تغادر ولم تهاب ولا كن ٭ ومثير القلب فانثنى متمافا
إذ رأى في جلده من وقار ٭ وجلال يروع الشغافا
اقبلا يعتز الحمى إذا أما ٭ إذ تعلمه مهابة وانتكافا

وللشيخ الإمام العالم العلم أبي علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي مخاطبا الحاجب الترجمة ومعاتبا له رحمهم الله آمين

أفكنت الرحى في المغرب من بلد الأفق ٭ وما نجل قلب كان في مقعد الجزه
أبي الخول استقاه البوادي على منقبا ٭ ولا تملا ومرتقاه ولا تبقى
والجماهر وليع حما بعد مقعلها ٭ وكان أبوك الحلم غيثا للمستمني
ومنكر أهلا وعليه وحموى ٭ وكان الذي يغر الورى أحسن العلو

بعد

فقد كان منه الود يقضي بعاشق ومن لو ود اطاقا منه بالرفق
وإقراك ازجاء الجفاء وكفتهم فمثل الاو ومن كل في اثر يسبق
ألم تعلموا أن ليس تغني مزاحمي علي ولا مزو الاديم على كلق
وأن قناتي لا تلين لغامز ولا يستفزن التصفيق في منتهى الصدق
وحاشا ومني في القلب من زمن الصبا ليال كأن الحسن في البرد البلق
وإن لا الذي الخشن كالغيم لا فرحي ولا احمل الزعماء كالغل في عنق
أجانب عن عفو الوساد وإن حلى ولا زماد في فخر ما تستغرق المغفي
وذا الفه وذا احوله الزمن والعرا وذا انفع عن وده لراغمية كفرق
وإن بلاد الذي تنمو عن بيضة فلينتشر من الحزم المقام على خلق
ولم تعلموا أن لو خلا الغرب كله من الغير كان الخير من الشرقي
فما انت في غير قراءة النحو ولا فقيه ولا في حقه فيه أو تقي
وكان لعمر الشيخ حق معقره فما الكلم تنظر الا الذ افقي
وكان ابن الناصر نزرا او عمدة أبو بكر اشتهروا بما فضله السبق
وكنت ابنه حلا اشترقت بعرفه فتلك المقالة والمساعي التي من في

فيما اشتملت عليه مثل القصيدة من العقاب ، مناسبين بعيون الاخوة وصفاء المحبة وصحة ما للمتأمل من الانتساب ، مع ما اشتملت عليه من التلويح والتصريح ، بما قصد به المخاطب من المدح ، باللفظ الصريح والمعنى الصحيح ، **وكتب صاحب الترجمة** للشيخ الإمام سيدي

محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه فيمثل منه ما كتبه من الجواب
ما اجابه رضي الله عنه بما نصه من عبد الله تعالى محمد بن ناصر كان الله
له الى سيدنا الحاج الفقيه الارضى العلامة الامام سيدي الشرقي
ابن شيخ المشايخ سيدي ابي فكل الرائي سلام عليك ورحمة الله تعالى
وبركاته وعلى من اتانا ثنا اقبالك وكرامة اليك ومن تشبث باذيالك
فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو وبعد فقد صحبه كتابك وفقك
الله واصلحك واصلح بك واياه نشمله عنك والاقبال اليه وكل من هو
اليك بسبيل والجواب انه امثالنا نحن الذين اقل واحقر من ان
بل انما هو علي ان نقرع ابواب الخير للاستفادة من امثالكم والاكرمين
كفى بعلمك ان شاء الله بنيل الرتبة فان الصحبة وان المصنف قال
منها الادعية شفعا شفعا اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد
وعلى اله صلاة تفرج بها عنا كل شر باطن وظاهر انك انت الله
القوي القاهر اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله صلاة تجلب
بها الينا كل خير باطن وظاهر انك انت الله القوي القادر وسبحان
ربي الاعلى الوهاب اللهم انا نسألك العافية في الدنيا والاخرة
اللهم اني اسألك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم اسألك
استر عوراتي وامن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن
شمالي ويميني ومن فوقي ومن تحتي وبيميني ومن فوقي اعوذ بك ان اغتال

الهم

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا
تكلني إلى نفسي طرفة عين حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم هـ فإني أرجو من فضل الله والكتبة عليه أن
يكون لك فيه كفاية في الطلبة وزيادة قوة الفكر والله ذو الفضل
العظيم هـ وفيه لما وجد **وبالجملة** فكان صاحب الترجمة
رضي الله عنه ممن لا يمكن حصره في أرقام تحصيل العلوم الشرعية واستطال
رتبة الغاية المنيفة لما اشتملت عليه ترجمته وذكره وتقييده
ملكه من أساليب النظام الرائقة الحلى ومعاني أقوال النثر البارعة
الإنشاء وهو من أجل الأدباء المتوفر الضياء والمستوي على أمد
المتكلمين والفصحاء وشعره مما في فنون يسلم أرق وأفخم من شعر الرضي
بن نظم مع النثر البديع الزهاة بعد البديع نجم في الرقاء
فيهما بادية وطلب العلوم مجاوزا في طلبه وفرعه في الكرماء
أرسخ من الجبل فيهم وفضله ينسي فضل الأمير وجيش الليل في
عصره منتهى الطالب كأنه بنار القطايا في سواد المطالب
من أنفع وجهه الله بالإمامة في العلم والعرفان في وقته وانقادنا
إليه الرياسة من ترافقاء جنسه وأذعنت له الكافة واصطلح
إليه الخاصة والعامة ورجعوا إليه في كل علم متبرعا في كل
فن وقرأ على جماعة من ذوي وغير منهم وتخرج به غير واحد وكان

ذا مروءة تامة وأبهة عظيمة حسن السمت كريم النفس عالي الهمة
غزير العلم حسن العبارة سهل التعليم جمع الجمال التام حسن المؤانسة
كثير الطرفة واسع المعروف ذا مال للأيتام والأرامل والضعفاء
والمساكين ينزل الناس منازلهم ويوفيهم حقوقهم وعاله والده ورزقه
الله عنه بالعلم والرضا بأفضاله الله الحظ الأوفر منهما **توفي**
رضي الله عنه بالزاوية البكرية الدلائية سنة تسع وسبعين
والف ودفن بها بقرب أبيه أوصى بصدقات فرقت على الطلبة والشرفاء
والمساكين والضعفاء رحمه الله ونفعنا به آمين

٥ الفصل الخامس في ذكر الشيخ ٥
٥ سيدي امحمد بن الشيخ سيدي أبي بكر ٥
٥ الدلائي رضي الله عنه ٥

هو الشيخ الإمام العلامة النحرير ٥ ذو التحقيق والتدقيق
والتحرير ٥ والفهم الثاقب ٥ والذهن الصائب ٥ أحاط بمجمل المعقول
وأتقن تفصيل المنقول ٥ كشاف المسائل المشكلة ٥ ومزيل طلسم
الدقائق المعضلة ٥ الجواد الذي لا يجارى ٥ والزناد الذي لا يوارى
ومنبع البلاغة الذي لا يمارى ٥ والعلم المشهور الذي لا يتوارى أعلى
عناه وكريه في ميدان العلوم فلا يلحق ٥ إذ لسانه لمجيد في مضمار
الفنون فلا يسبق ٥ أبو عبد الله سيدي محمد المدعو الكريم ابن الشيخ

الغازي

الفاضل الكبير سيدي أبي بكر الدلائي كان رضي الله عنه من العلماء
الفاضلين والأولياء الصالحين والأشياخ الكاملين أمثل الفرقد
والشيخ المقتدى به في الملة والدين متحليا بالعلم والتقوى متمسكا
منهما بالحبل الأقوى كم له من الدين ما يبهر العقول وخرج عن الحصر
والمنقول ومن أهل الزهد والورع والمجاهدة كثير الصيام فمتميز
بالليل والناس نيام مشارك في كثير من الفنون كثير الحفظ للغة
وأشعار العرب حافظا ضابطا صادق اللهجة محافظا على السنة في
جميع أحواله عزيز العلم ممتع الحديث كثير الفوائد عارفا بعلوم
القوم ولد بفلاوين الزاوية البكرية وقرأ بها على جماعة من شيوخها
الأجلة وشارك في فنون عديدة من الفقه واللغة والعربية والفرائض
والحساب والقراءات وغيرها من الفنون وكان بالعربية عارفا
ولرجاله واصفا وعلى قراءته مواظبا وعاملا وانتفع وحصل
واستفاد وأفاد وتخرج به جماعة من ذويه وغيرهم و سبب تسميته
بالخديم أنه كان ملازما لخدمة والده سيدي أبي بكر فكان يخدمه خدمة
تامة ويمتثل أمره وينفذه امتثالا عاما في سره وجهره الأتم من جميع
إخوته وكان أهل الزاوية يسمونه بالخديم ويدعونه به فلقب بذلك
وصار علما عليه وجرى عليه وعلى عقبه من بعده وكان رضي الله عنه
موصوفا بالكرم الفائق والنبل الرائق مع الفصاحة في اللسان

445

والبلاغة في البيان ومشاركة في العلوم ومعرفة بالمجهول
والمعلوم وتمكن ووقار وكان الزمن كاشامة العفار لأقرانه
الأجانب وبالقرا ماهرا في الجدل في كل منتدى له تآليف في التصوف
خوف بها القلوب أي تخويف وقصائد وطرفة تخبر بإفادته وترك
على قواعد أوقاته وعاداته توفي رضي الله عنه سنة تسع وخمسين
والف ودفن بالزاوية البكرية بجعفرة انطاكية ورحمه الله وخلف
عنه ولده سيدي محمد وستأتي ترجمته إن شاء الله مع ترجمة جده
سيدي أبي بكر رضي الله عنه

جـ
جعفري

الفصل السادس في ذكر الشيخ
سيدي عبد الكريم بن الشيخ سيدي أبي
بكر الدلائي رضي الله عنه

هو الإمام الذي الفقه النبيه العالم الفقيه والنجابة وقدوة ماهر
محبتهما بأبي جعفر محل الاعتناء الذي اختار سوم العلم بقراءته وسماعه
واستبعد لمرونه وخلابته بقراءته ومناولة لما بينهما أهل
الدين وأكابر العلماء المتبحرين عن الصدور الأكابر وعلامة
الأعلام المشاهير معول الجلالة ومحل حرمتها ومعدن الفضائل
ومعدنها أبو محمد عبد الكريم بن الشيخ سيدي أبي بكر كان رضي الله
عنه من أكابر أهل العلم والعمل به متمسكا بالعلم حتى في سماء

أسرار

المعالي

المعاني ۔ وتحلى بالعلم مطلعا على العوالي ۔ وبرع في نظم القريض
وجمع فنونه وروض الاريض ۔ اذ لم يبق للمعاني قالب الا حاز منها
ولا للمحاسن من غاية الا حاز منها ۔ وحاز من الفصاحة ما لم يحزها سواه
ومن الذكاء ما سوى الزمن الشهير في الافواه ۔ **ولد** رضي الله عنه
ببلاد مينة الرملة ۔ ونشأ بها نشأة النجباء الاتقياء ۔ وقرأ بها على
جماعة من اعلامها وكان من ذوي الحفظ ثاقب الفهم متفننا في انواع
العلوم ۔ مشاركا فيها على الخصوص والعموم ۔ متبحرا في الفقه
والاصلين والبيان والمنطق وعلم الكلام حافظا لحديث الصحيحين
مصححا نسخهما من خطه متحققا بعلوم ارباب القلوب وارباب المعرفة
بطرق القوم وفي امورهم فحسن الكلام عليهما عارفا بما افترق الصوفية
من الكتاب والسنة مستعملا للسنة محافظا عليها ملاحظا لها
في جميع احواله صادق اللهجة مع وقار الصدر كثير التهجد واهل
المطالعة كثير المذاكرة ودرس في انواع العلوم ونفع وافاد وقصد
كثيرا وله تفاسير واجوبة في انواع من العلوم اخذ الطريقة عن
جماعة من المشايخ وعمدته في ذلك اخوه سيدي محمد بن ابي بكر وكان ممن
يجتني الافضلاء ۔ ويتحكم فيه كيف شاء ۔ وله احوال كثيرة وانفعال
اوقية ومكاشفات وانجلاء ۔ تستحسنها الطباع ۔ وكلامه في
اعلا البلاغة مشهور ۔ ما بين منظوم ومنثور ۔ وتوفي رحمه الله

سنة تسع وأربعين وألف ودفن بزاويته البكرية بقبة
أسلافه رضي الله عنهم أجمعين

الباب الثاني في ذكر أولاد الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر وذكر النزر من مفاخرهم التي ليس لها نهاية ولا حصر وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول في ذكر ولده الأكبر أبي عبد الله مولانا محمد الحاج وسيرته التي كانت على أقوم منهاج

هو الشيخ الإمام الفاضل العارف الكبير الواصل العالم العلامة العلم ركن الدولة البكرية الملتزم الملك الأفخم الأمير المعظم بحر الجود الغطمطم الزخار المحب لأهل الله والشرفاء الكبار منهم والصغار غيث الندى الوابل المدرار متبع الموحدين ومعز المتقين والمواهب الربانية والأسرار الإلهية العرفانية والأقوال الناصعة والإشارات العالية الشاهدة بتقدمه بين زمانيه أبو عبد الله سيدي محمد الملقب بالحاج بن شيخ الإسلام وعلم الأعلام القطب الكبير العارف الشهير سيدي محمد بن شيخ المشايخ سيدي أبي بكر الدلائي كان رضي الله عنه إماما كبيرا وجوادا مفضالا

شهيرا

نشيما عفيفا كاملا، وعالما عاملا، طلع في سماء العلوم قمرا، وسما
بمنصبه البكري فخرا، وفاق ببارع جماله، كما ساد بمجده وإجلاله
وخص له من الفضلاء ما اختص به الأكفاء، ومن الشهامة ما أوفى مثل
القرم والنائل، ومن الفصاحة ما امتلكت الغائب والرائي، وفاق
بهمته الحاتمية، وساد بشيمته الاحتشامية، وبرز في ميدان الشجاعة
ليثا، وكان للبائسين غوثا وغيثا، **ولما** توفي العم قدم بالزاوية
البكرية بيته الله، ونشأ في عفاف وصيانة، ومروءة وديانة
وراح في ميدان الفلاح وغدا، وتوشح بفضل وصلاح وازدهى
وطلع في سماء الأدب شهابا، وبرز في ميدان الفصاحة ليثا هماما
وفي فنون العلوم مشاركا، وللأخذ منها غير تارك، **أخذ العلم**
الكلامي عن والده وجماعة من أقاربه منهم أعمامه أبو العباس أحمد
الفاسي ومحمد أبو عبد الله محمد الشرقي وأبو عبد الله محمد العربي وأبو
محمد عبد الكريم، وولده محمد أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمن وعن غيرهم
من الأئمة الواردين عليهم كالشيخ أبي العباس أحمد ابن القاضي وأبي
العباس أحمد بن عمران وأبي حامد العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف
الفاسي وأجازوه فيما صح لهم وعنهم روايته، **وأخذ علم**
الطريقة عن والده الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر وكان ذا وجه
حسن وذا فهم لسانه حسن الشارة، بارع الفهم والعبارة، موصوفا

بالرجولية والمروءة الفائقة • ومن أمنية النفيس والهمة الرائقة
وماذا عسى أن يحرر عنه البلغاء • أو يكتبه البناة • من وصف مآثره
وكريم خلاله • أو متى يحصر ليتيسر له قلم • ولما قضى من العلم وطره وبلغ
أشده • وبلغ أربعين سنة أمره والده رضي الله عنه بالذهاب لحج بيت
الله الحرام فرحل إليه حاجا سنة إحدى وأربعين وألف في ركب
حفيل • وموكب جليل من الأشراف والعلماء • والأعيان والرؤساء
فكان وجيها بالمشارق مكرما للأمراء والعلماء والمنتسبين • وحصل
له في طريقه من المواهب ما لم تحد وعدة والده في الاستبصار • وكثر
وقصده من قصده عند الموقف في المشاهد والأمصار • فعطف على المؤمنين
ومنهم حاجة من بعده قبل التقدم • ولما بلغ في رحلته إلى مصر القاهرة
تعرض له من بها من العلماء الجهابذة وأكرموه وعظموه • وتبركوا به
ولما وصل الحرمين الشريفين فرح الناس بقدومه • واقتبسوا من أنوار
علومه • وتلقوه بالإجلال والتعظيم • والتبجيل والتكريم • وخطب
بالناس يوم عرفة ولم يتفق مثل الأمر قبله ولا بعده في الحج واعتمر
وزار قبر خير البشر • وكثر له من الخير له في الحرمين ما لا يقابل إلا بالشكر
وما فيه بأوفر بركته وإلا في فكم • وزار بالمدينة المنورة وخطب
وأم • وكمل تبرزه مثاله في المقام وتم • ثم عاد إلى مصر فنزل بها على
السادات البكريين وأجلوا مكانته • وأجلوا وفادته • وأفرغوا

الشيخ أبي المكارم الصريفي وهو من شيوخ أحمد وعن الشيخ أبي العباس محمد ابن بكر
أحمد بن محمد المقري القرشي وعن غيرهما من الأشياخ وعقد بالأزهر
مجالس لإقراء أنواع من العلوم من التفسير والحديث وغيرهما ونفع
بذلك وانتفع واستفاد وأفاد ثم رجع إلى البلاد بعلم غزير فانتصب
لإقراء أنواع العلوم حتى تخرج به جماعة من العلماء وكان رحمه
الله بعيد الرأي بصير بالعلم بارع الإنشاء وفحول الكلام مطلقا
فوق الفصاحة وأعيا وأبان البلغاء والفصاحة وقاعد في المشاركة
في العلوم مدير وله معرفة بكار ربها والتلمير ولما توفي الشيخ
سيدي محمد بن أبي بكر رضي الله عنه تولى ولده صاحب الترجمة أمر
الزاوية وظهرت على يديه المآثر العظام والعطايا الجسام وكانت
له ضيافة تقدمه بغلبة تحمل الرضيع من إيقاد الزاوية وكانت له
قصعة من عود تسع الكر من بر متعلقة بجيد الخواطر وابتهجت
بوضعه النواظر وألقت إليه المملكة زمامها ببعض تعز لمنعتها
في حزومها خفافها وذلك ما قرر الله من موعوده وتستطعت في
فلك السعادة منازل سعوده ولاحت به للمغرب السعادة والبشاير
وانتعشت به بعد الاندراس على العموم كل حيوان من ناطق وصامت
وكاتب وكل خير من الملك الوهاب وللكل أهل الكتاب فهو لمملكة
المغرب نجم ارتفع وعلم من شبهه وسمار فيهما بين حشمة وجلالة

سنة خمسة ۝ وقام أهل المغرب بن [illegible] ۝ وأخرجوا الأمير وكان عهده
وبويع له بالخلافة يوم الجمعة خامس عشر شعبان من واحد
وخمسين وألف نزل على فاس بمحلته محاصرا لها وارتحل في التاسع
والعشرين من قعدة بعد أن بايعوه وخالفته مرة أخرى فأقام عليهم اثنى
عشر يوما وفي أوائل ربيع النبوي من عام ثلاثة وخمسين وألف
وقع قتال كبير وخرج كثير من أصحاب البكري من أهل الزاوية الدلائية
وبين الفقيه السيد عبد الله بن الفقيه الرئيس المجاهد سيدي محمد بن
أحمد العياشي فوقعت الهزيمة عليه ووقع قتال ونهب في القبائل
بسبب ذلك وفي أواخر رجب من العام المذكور نادى السلطان مولاي
محمد الحاج بالجهاد وتهيأ له فحصل أواخر شعبان تفرقا وفي ضحوة يوم
السبت ثامن عشر ربيع النبوي من عام ستة وخمسين وألف كانت
وقعة القارة وفيها التقى القائد [illegible] محمد الحاج الدلائي وهو
صاحب سجلماسة مولاي محمد بن الشريف فوقعت الهزيمة على مولاي محمد
ابن الشريف ودخل سجلماسة فغلبوا بها مدة يوما وقبضه مولانا محمد
الحاج من خلفها غالبا محمد وما ثم انعقد الصلح بينهما على أن ما
خلف عما من الى الصحراء فهو لمولاي محمد بن الشريف وما دون ذلك
لناحية الغرب فهو لأهل الدلاء ومنه كتب أهل الدلاء على مولاي محمد
خمسة مواضع فلا يدخلها ابدا وجعلوها لهم ومن الشيخ مقبر

فى

في أولاد عيسى بالرتب والسيد الطيب في قصر الشوة والسيد أحمد
ابن علي العمار في بني عثمان من الخنق وقصر فلميمة في وصر اغريس
وسمر من في قلبر من بكلة ببزنا الخمسة الأماكن فشرطوا عليه أن ـــ لا
يتعرض لهم فيها ولا يحرك لهم ساكنا وقبل ذلك مولاي محمد بن الشريف
وتم الصلح بينهما على ذلك ورجع أهل الدلاء لبلادهم على العهد
والأمان ولم يزل مولاي محمد بن الشريف مقتصرا على ما وقع عليه
الصلح بينه وبين أهل الزاوية الدلائية إلى أن دعت له أهل فاس
كما سيأتي في ذكره وفي تاسع رجب الفرد الحرام من عام ستة وخمسين
وألف خرج الناس أيضا للجهاد بحلق المعمورة مع أولاد السلطان أبي
عبد الله سيدي محمد الحاج ثم رجعوا بعد إقامة عشرين يوما وقد مات منهم
كثير من مرض أصابهم بسبب ماء شربوه هنالك **وذكر** الفقيه
العلامة أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني في كتابه
المقصد الأحمد أن الولي الصالح أبا العباس سيدي أحمد بن عبد الله معن
رضي الله عنه خرج للجهاد بصحبة أخيه سيدي محمد بن عبد الله مع
الأمير أبي عبد الله سيدي محمد الحاج عند قيامه ليغير حصون الكفرة
بحاضرة ومنها المعمورة فأبلى بلاء حسنا قال وكان ذا إقدام ونجدة
قال وضعف يوما والده سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله في عقبة
منها الذي لقيه بجملة على ظهره حتى قطع به المواضع المخوفة منـ

أمنوا منه ثم لم يمض له بعد ذلك شهور وأقرهم وفي سنة ثمان
وخمسين وألف حرك أهل الزاوية الدلائية لقتال زروال بإذن الأمير
مولانا محمد الحاج ورجعوا منها لم يظفروا بهم وفي سنة تسع وخمسين
وألف بعث أهل فاس لمولاي محمد بن الشريف المذكور ليأتي فيكلموه
فيه فيرد الغرض عليهم والقيام بأمرهم وأن ذلك باتفاق من
جميعهم فأتى إليهم ونزل ببلاد الحمادية وقبلوا فيهم لما ألقاه
والغرض عليه بها وفي خلال ذلك بعث الولي الصالح الملامتي
أبو العباس أحمد بن عمرو وهو من أولاد باب الجيسة أحد أبواب فاس
وكان يأوي لحانوت بعين علي المقابر الشيخ الجليل سيدي يوسف بن أحمد
الصنهاجي وهو مجذوب وأرسل قبالته صغيرا بشقفة مملوءة بالعافية
التي هي من زينة النساء وجاوزا القرابين فلما قبض سيدي
يوسف الشقفة وجعل يتبسم وأخذ ما فيه وفرقه على أهل داره
والحاضرون ينظرون ومن الغد بعث لسيدي أحمد بن عمرو المذكور صحفة
خضراء مملوءة سمنا فلما وصلت إليه بعين علي وقبضها ورمى بها من فوق
وجعل يقول الصحفة إنما مملوءة سمنا بل هي مملوءة دما ويكرر
مملوءة دما ويوبخ سيدي يوسف ويشتمه فلما أخبر سيدي يوسف بذلك
من وأتمه وتبسم وقال للحاضرين أما الشقفة الذي بعث لي فيه
العافية معناه أنه يقع أمر فتنة العروبية ومن السلامة

بحيث

يجيء من الحمراء بن مرآن من جبل اولاد ومولاي الشريف من عطل المغرب
فيكونون ملوكا فيه وأما الحضرنة التي تعقبت له بها فلونه تمحنا
فتعقبنا إني قلت له إن الحمراء اسم امرأة والغرب اسم ذكر والمرأة
إذا حكمت في الرجل لا تفعل له إلا الهم ولا تستفيد إلا الشؤم وليس في
ملوكهم خير للخلائق وإن الوقت وقتي والنوبة نوبتي فبالله الذي
لا إله إلا هو وعنايته بسيدي الغازي وأحد منهم لا انتصر بالغرب ما
وقفت وإن تمت مدتي وانقضت نوبتي بموتي فليفعلوا ما أرادوا وا
فقام إليه رجل من بين الناس وقال له يا سيدي تقول منزا ومولاي محمد
بالحياينة قد بعث إليه أهل فاس ومنهم خارجون إليه ينزلونه
اليوم فقال إن كان في بلاد الحياينة فإنه يقوم لفاس ويدخلها
فيها منصورا ويخرج فيقلب مهزوما والعبد لا استقام لأحد منهم أمر
بالمغرب ما وقفت فيه حيا قال من مولف في هذا فيه خرج إليه أهل
فاس لبلاد الحياينة وأتوا به لفاس الجديد ومنعوا فأبوا أبا بكر
التاملي الشريفي ليلة الجمعة مهل رجب العام فبايعوه لسابع
رجب العام وأقام عشرة أشهر وبلغ الخبر للخليفة سيدي محمد الحاج
فجهز له جيشا عظيما ووجهه إليه قال في نزهة الحادي
وفي تاسع شعبان العام وقع قتال عظيم بين مولاي محمد بن الشريف
وبين جيش أهل الزاوية البكرية الدلائية فكانت الهزيمة على

ظهر وملكه من باب فاس بجزة مولاي محمد مع أهل فاس وقد قعد من
القبايل من لمطة شيعته وتحصن بفاس الجديد وبقي مولاي يدبر
الأمور وينتظر ما يأتي في المساء والبكور ولما طال عليه الأمر
بفاس الجديد وضعف جنده وثار عليه أهل فاس أواخر شعبان
سنة ستين وألف ذهب إلى تافيلالت وفي ثاني عشر رمضان العام
وانقطع صعوده من المشرق إلى المغرب ولما تحقق أن أهل الزاوية قد
منه ومن غيره وكانت مدة إقامته بفاس أربعة عشر شهرا
وأما ما قلناه وصرح الله الشيخ سيدي موسى الصنهاجي مما
قال الله إن لله عبادا لو أقسموا على الله لأبرهم والأمر لله من
قبل ومن بعد وفي عام اثنين وستين وألف وقع قتال كبير بالشراك
فهلك منهم عشرون وخمسون من أهل الرباط مائة وعشرون وكان بينهم
الرقاد ووقع نهب عظيم وقتال كبير في أتباع من القبايل
بسبب ذلك ونصر الرابطيون وفي الثالث والعشرين من ربيع
الأول النبوي الأنور المبارك المفضل من عام اثنين وستين وألف قام
أهل المغرب بدعوة الفقيه العالم المرابط أبي عبد الله سيدي محمد
الحاج صاحب الترجمة ولاه عمر الطاعة وافرة وجاءته البيعات
من البلدان المغربية وتابعه أهل فاس الإدريسية والعلماء
بالخلافة وكتبوا له البيعة بجامع القرويين وحضرها من هو أهل

لذلك

لذى الكثير من الاغنياء. والجم الغفير من امثل الرؤساء. في مهل وجمع الثاني
من العلم وقرءوا ابنا عليه للزاوية الدلائية فقرئ ثم على منبر
مسجدها ووضعت في حمزوه مع غيرها من بقعات نواحي المغرب
في خزانة كتب الجامع المذكور واستولى على ما بين المدن وما خلفه
في ما عمه كفاس ومكناسة الزيتون وسلا ورباط الفتح وتطوان
والقصر وطنجة وتامسنا وتازا وملوية وما بينهما من القبائل
وقبلها من الجبال الى البحر الاعظم الى بحر الزقاق الى وادي ملوية
ووادي ام الربيع وكان امره نافذا في جميع الاقطار وقد انقاد له
الرقاب. وخضعت ذوو الالباب. واستعمل على المغرب ولاة من امثاله
وغيرهم فولى ولده الفقيه العلامة ابا محمد عبد الله بسلا ومكناسة
بعد ذلك وولى ولده العلامة الاديب ابا العباس احمد على مدينة
فاس ونواحيها واستوطن فاس العليا الى ان توفي مخلوعا وولده الاخر
ابا عبد الله سيدي محمد ودخل اهل الزاوية عنوة الى مدينة فاس
وعادت لهم الدولة بها الى ما كانت بعد خروج مولاي محمد بن الشريف
منها بمدة يسيرة في اوائل رجب من عام اثنين وستين والف خرج
الفقهاء من فاس للزاوية البكرية مشتكين للسلطان سيدي محمد الحاج
ومستغيثين به في كف الجماعة عن النهب وقطع الطرقات وسفك
الدماء. وكانوا قد شقوا العصا. وقد خلعوا من عصاه. ومستشفعين

به

له في غزوهم بغزوان كتب له أئمة العصر أجوبة مصرحة بوجوب قتالهم ومن مستعذب أجوبته **نص الأول** منها الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم **أما** مسألة العرب الذين يقطعون الطريق على المسلمين وينهبون أموالهم على وجه يتعذر معه الامتناع والاستغاثة كالاستنصار بالسلاح فهم المحاربون في اصطلاح الفقهاء **ففي منتقى** الباجي قال القاضي أبو محمد المحارب هو القاطع للطريق المخيف للسبيل الشاهر للسلاح الطالب للمال فإن أعطيه وإلا قاتل عليه **قال** ابن رشد لم يختلف قول مالك وأصحابه في إباحة قتال المحاربين وأن من قتلوه فهو شهيد ومن قتل منهم فهو شر قتيل وقال مالك وابن القاسم جهادهم جهاد **وقال عنه** أشهب من أفضل الجهاد وأعظمه أجرا وقال مالك أيضا في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إلي من جهاد الروم **وقال** عليه السلام من قتل دون ماله فهو شهيد وإذا قتل دون ماله ومال المسلمين فهو أعظم لأجره **وقال** أبو إسحاق فقتال اللص هو أقرب بالفضل من الروم **قال ابن القاسم** وإذا قتل واحد منهم قتيلا فقد استوجب جميعهم القتل ولو كانوا مائة ألف إذ كانوا ردءا له وأعوانا ويقتل منهم من لم يقتلوا مقبلين ومدبرين ومنهزمين وليس تنفعهم توبتهم فروا

عنهم القتل وقال سحنون يسجنون وإن بلغوا برك الغماد
وفي الموازية لا يجتمع على قطع يمين ولم يرها سحنون وإذا
أخذوا قبل التوبة لزمهم الحد وهو القتل والصلب أو قطع
اليد والرجل من خلاف أو النفي والحبس والأصل في هذا الباب
قول منزل الكتاب إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا إلى عظيم
فقد أوضحت الآية حكم الله تعالى فيهم غاية الإيضاح وقال
ابن المواز وابن سحنون عن مالك إن ذلك على التخيير وهو تخيير
معلق باجتهاد الإمام الذي ولاه الله أمر عباده وهو مصروف
إلى نظره ومشورة الفقهاء بما يراه للمصلحة والزجر والردع
للفساد وليشرف الذي على شؤون الإمام والأمير على الاجتهاد ولا
ينفك حد الحرابة على من ثبتت حرابته إلا التوبة ثم لا تنفعهم
بعد ما قدر عليهم وكان المتمردون والمحاربون من الأعراب منهما
وجاسوا خلال الديار وأخافوا المسالك ونهبوا الأموال فيظنون
في أموالهم الشهيرة بالنهب فيتعلقون بحبال السطوة والاستئمان
من أصحاب الشوكة ويرجع الناس عنهم مغمومين [illegible]
وحكم الله فيهم ما سطر والله تعالى يرينا الحق حقا ويعيننا
على سلوك سبيله والباطل باطلا ويجنبنا وجميع إخواننا

التمسك بأسبابه وقبيله. وكتبه عبد الله تعالى وأفقرهم إلى
رحماه محمد بن محمد بن القاسم ابن سودة وفقه الله بمنه آمين

ونص الثاني

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقع السؤال عنه من
قتال المحاربين المتعرضين لقطع الطريق على المسلمين ونهب
أموالهم وسفك دمائهم من الأعراب وغيرهم لا يشك مسلم في
جوازه كما صرح به ابن الحاجب وغيره بل بالاتفاق بل بوجوبه
على من قدر عليه **ففي المدونة** جهاد المحاربين جهاد وفي
العتبية من أعظم الجهاد وأفضله أجرا **وقال مالك** جهادهم
أحب إلي من جهاد الروم **وقال ابن شعبان** جهاد المحاربين
أفضل من جهاد الروم **وقال** علماؤنا رضي الله عنهم ومن
كان معاونا للمحاربين من الكمين والطليعة فحكمهم حكمهم
ويدخل في قوله صلى الله عليه وسلم لغدوة أو روحة في
سبيل الله خير من الدنيا وما فيها والغدوة والروحة
يعني لقتال المحاربين **و**سئل ابن عرفة عن سلاح موقوفة للجهاد
هل يقاتل بها المحاربون أم لا فقال لا بأس به **و**سئل قاضي الجماعة
بفاس أبو سالم ابن ابراهيم بن محمد اليزناسني عن مسئلة من نوازل
المعنوي فأجاب من تكرر منه الغراء وإخافة السبيل بجميع ما

بيره

فيه حرام لا يحل ولا يحل للسلطان أن يقطعه من مال المسلمين
ولا من مال إن كان له مال خاص بيده لأن الواجب على السلطان
الأخذ على يد من وردهم عن الفساد ولو بقتله وقد سئل ابن عرفة
عن الذين يستخدمون من الأعراب لقطع الطرقات وسفك دماء
المسلمين وأكل أموالهم عن اعتناء فيقتلون بهم ويقتلونهم وكثير
من جواميه **فأجاب** بأن قصده جميع ما ذكرت من قتال هؤلاء
وجهادهم والإنفاق لنيل ثواب جهادهم ومن يجاهد على جهاده
الكفار غير مفتقر من مال المسلمين صحيح لا ينبغي لمسلم يخالفه
وكذلك ما ذكر من استباحة أموالهم واتباعهم في هروبهم ه
والإجهاز عليهم لأنهم في ذلك الأمر وفي الجملة فمفاسد
لليوم في ذلك عمى والعياذ بالله كفر لأنه منكر ما علم من الدين
ضرورة إن كان يعلم أن هؤلاء البغاة على ما وصفوا به ه
وقال فيه ابن اسميم الذي قلته ولا خلاف عند أهل السنة في
حصول هذه الفضيلة من قطيع أو عامل لها وقد من الغزاة مع
كل بر وفاجر من الولاة وأجاب أيضا عن هذا السؤال الذي أجاب عنه
ابن عرفة تلميذه الفقيه القاضي أبو مهدي عيسى الغبريني بما
نصه جميع ما اقتضته ببدع الفتنة حق وصواب لا يخالف مسلم
يخالفه وإنكاره وإنكار من أنكر ذلك هو من بعض من لو

قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبض العلم انتزاعا الحديث الخ محل الحاجة منه **قال علماؤنا** رضي الله عنهم إنما كان للمحاربين الخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة لشناعة المحاربة وعظم ضررها لأن فيها سد سبل الكسب على الناس لأن أكثر المكاسب أعظمها التجارات وركنها وعمادها إنما هو الضرب في الأرض كما قال عز من قائل وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله فإذا أخيف الطريق انقطع الناس عن السفر واحتاجوا إلى لزوم البيوت فانسد باب التجارات عليهم وانقطع التسبب بهم فشرع الله تعالى التغليظ على قطعة الطريق بحد الخزي في الدنيا ردعا لهم عن سوء فعلهم وفتحا لباب التجارات التي أباحها الله تعالى لمن أرادها من عباده ووعيدا بالعذاب العظيم في الآخرة على ارتكاب المحاربة فهذه المعصية خارجة عن المعاصي مستثناة من **قوله** صلى الله عليه وسلم من أصاب من ذلك شيئا فعوقب عليه في الدنيا فهو كفارة له والله أعلم **ولا يختص** هذا الحكم بالأعراب بل قال علماؤنا رضي الله عنهم إن كل من حمل السلاح على الناس بغير عداوة ولا منافرة فهو محارب والسارق بالليل محارب وفي النهار في دار أو زقاق فكابره لمنع

معه

معنى الاستغاثة محاربة وقاتل الاعداء على انظار المحاربة بعجزه
في جميع من اتصف بشيء من ذلك جميع ما ذكرناه اعلاه، **ومن**
ذال هذا الحال في بعض الاوقات الى الان فيتبع المسلمين من بعض
مردة امثال البلد الى الاجنبية ونحوها مما فرقه من البلد فيمسكونه
في اقامتهم ويسلبون اموالهم ومن رجعوه الى البلد بالاقعيد جهارا
فلا ينتفع منهم ولا يتشفع عنهم كميتهم اهل بلد والى ما هو اعظم من
من ازمن القتل ظلما او نهب الاموال من الزور والعواتق جهرا فبلا
ذنب ولا سبب ثم يكتسب ما على ذلك التعظيم والاحترام فضلا
عن عدم النكير عليه والضرب على يده فانا لله وانا اليه راجعون
ومنها الشبه عند القراءة اذا هو منهم وكتب عبد الله تعالى محمد بن
احمد ميارة كان الله له **ونص الجواب الثالث** الحمد لله وصلى
الله على مولانا رسول الله ما ذكره المجيب اعلاه من ان العرب
المجمعين للسبل الناهبين للاموال هم المحاربون صحيح والنصوص
المتضمنة في جواز قتالهم واضحة التصريح وقد جلب المجيب
اعلاه جملة وافرة منها **وقد ذكر الامام** الحافظ ابو بكر
ابن العربي في تفسير قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله الاية ما نصه ان قيل كيف يقال ان مثل الاية فتتناول
المسلمين ومنه حقيقة الكفار قلنا الحرابة تكون بالاعتقاد

الكبائر ويكونون بالمعصية **قال تعالى** فإن لم تفعلوا فأذنوا
بحرب من الله ورسوله فإن قيل إن ذلك فيمن يستحله قلت
نعم وفيمن يفعله فقد اتفقت الائمة على ان من يفعل المعصية
يقاتل ويحارب كما لو اتفق اهل بلد على العمل بالربا او على ترك
الجماعة او على تعطيل الجمعة او ترك الاذان فإنهم يقاتلون على
ذلك ثم قال بعد كلام طويل وتحقيق المحاربة من اشهار السلاح
بقصد السلب ومن ثم خرج عنه ذلك ثم ما نقلناه في رواية ابن
وهب او قال المحارب من اراد قطع السبيل وتحكيم الفساد وان
لم يقتل احدا اذ الحكم عليه بقتله والسلام **وقد** افتى ابن
عرفة في عرب افريقية بالمذكور اعلاه مع ان من راجع كتب التاريخ
لا يشك في ان المنقول عنهم اخف مما الامراء والايالة الغرب وبالجملة
فالحق ابلج والباطل لجلج

وليس قصدي في الافتاء بهذه اذ الخطاب النهار الرد لعل
أرانا الله حقيقة الحق وجعلنا من اهل قبيله وجنبنا من
الباطل واهل سبيله وكتب العبد الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد
الزموري لطف الله به **وفصل الرابع** الحمد لله وصلى
الله على سيدنا ومولانا **محمد** وآله وصحبه وسلم فانما يحكم العقلاء
في مسألة المحاربين غاية في الافتاء وبنصوص العلماء وصحة

العلم

الله عنهم كشفت عن حكم الله تعالى فيها الغطاء • فتبين من
الكافر بغير تحصيل الحاصل لنفس محمد كامل • او حكم الله
واحد • والحق لا يختلف فيه الا مغالط او جاحد • اللهم الا ان يكون
موافقة للمشكور • ومشاعرة للامر والمامور • فيقول العبد
الفقير الناع • القليل البضاعة في العلم والنفاع • العاجز
عن الكلام الذي يحصل به الاقناع والاقتناع • لا جرم ان من اغاث
المسلمين • او قطع الطريق على المسافرين • فيكون من المحاربين الذين
قال الله فيهم وهو اصدق القائلين • انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله الآية وبنصوص العلماء رضي الله عنهم فيمن حد بان
قتالهم هو او جهاد الله على العباد • على من استطاع منهم من اهل
الجهاد • دون القعاد • **قال** ابن الحاجب يجوز قتالهم باقتتال
وقتله فيما وجده الشيخ خليل عن مالك وابن المواز وابن شعبان والمدونة
والعتبية وانما هي المجموعة اعلاه ثم من احكام الله في المحاربين
قاله القضاة الى العراقية وانما هي فيهم من كونهم يستحلون ما حرم
الله فهم الى الردة والكفر الصراح والعياذ بالله **وقد قال**
عياض رحمه الله اجمع المسلمون على كفر من استحل شيئا مما حرم
الله بعد علمه بتحريمه فيقاتلون على منزلة من كفر ويقتل
منهم المحارب البالغ ومن كان دون ذلك ويتبعون على قول

سيجعلون مختلفا ولو بلغوا مبلغ العلماء ويفعلون مفعلين ومن مؤمن
ومنهم من ليس منهم ولهم قومة وأما ما بأيديهم فجوابا ابن عرفة
المستقر أغلاء كان فيه وليت فيعرف أي متمثلة أن الرجل على
المشتغلين من فضائل التجار من يروي وحضره أو بقيت الحق وكفى
إذ أتيتهم فينقطع شمل العالم ، ويحصل الأمن العام الذي يطمئن به
النفوس وتنتعش فيه الهمم وتشكر فيه النعمة وتأنس فيه القوي
والضعيف ، وتشمل النفع المشترك والمتشعب ، خصوصا في
التجارة التي رغب فيها ذوو الأقدار ، وحض عليها أولوا
الأفكار ، من تقلب الأموال في الأسفار ، وتقليب الأموال في القرى والأمصار
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تسعة
أعشار الرزق في التجارة الحديث وفي بعض الكتب المنزلة
يا ابن آدم احرك يدك تتسع الحرفة لك رزقا الى آخره وباشتغالهم
وتركهم على حرفتهم وعوائدهم يحصل حفظهم وكف من الخوف الذي
يقعد الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن قضاء حاجاتهم ويكفهم عن
أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم فالواجب
على القادر على حمله ميزان المصلحة وعلو وقع حدسها من المعشرة
المسارعة إليها بقدر الإمكان فضله سبحانه وتعالى التوفيق
لطريق الفلاح ونهج الفلاح بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الكريم رسولا ونبيه وصفيه من أمره وكتبه العبد الفقير إلى العزيز من
الجبار أحمد بن محمد الأبار لطف الله به **وفصل الخامس**
الحمد لله ما ذكره المجيبون أعلاه من حكم الله تعالى في المحاربين ونقلوه
عن علماء الأمة كلام ملخص منقح محرر وأصله في الكتاب والسنة
ثابت مقرر ولا إشكال في الجواب والله تعالى يلهمنا الرشد
والصواب ويعيننا على الأعمال التي نحوز بها جزيل الثواب وكتب عبد
السلام بن محمد وفقه الله بمنه **وفصل السادس** الحمد لله والصلاة
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجاب به المجيبون
أعلاه في نازلة القوم الذين صدر منهم ما ذكر وعلموا من نصوص الأئمة
رضوان الله عليهم كلام صحيح موافق للمعقول والمنقول وفيه
كفاية ومزيد ومن له قدرة على قتالهم يجب ذلك عليه وعلى المسلمين إعانته
في ذلك والسلام وكتب مسلما على من يقف عليه عبد الله تعالى علي بن محمد
الغربي وفقه الله ولطف به آمين **وفصل السابع** الحمد لله والصلاة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم كل ما ذكر في هذا المسطور
أعلاه من الأجوبة صحيح المعنى واضح المبنى والله سبحانه يعصم
لهذه الأمة المحمدية من نحو هذا الفرد منها ويحسم مادة أهل الفساد
ويقطع دابر أهل الزيغ والعناد ومن كتب المجيبون أعلاه في
شيء مما يتعلق من المعقول بالمسألة ولم يبق لقائل ما يقول في ذلك والله

تعالى أعلم وكتب العبد الفقير إلى رحمة مولاه عبد القادر بن علي بن
يوسف الفاسي كان الله له آمين وأكثر الفقهاء في أجوبتهم
قطعا في المعاني والتعليلات . وأخيرا أمر المقابلة للأجوبة
المسطرة بالتأويلات . سيما حضرة الفقيه القاضية المبعوثا
بها لأهل المغرب والمشرق من أهل الزاوية البكرية الدلائية
فلما وصلت منها الأجوبة حضرة السلطان أبي عبد الله محمد الحاج
رحمه الله وقرأ منها الفقهاء على وفده وغيرهم من القبائل قابلوا
بالسمع والطاعة . وأن عبد الأمير عن فساده واستطاعه . ونادى
بالناس بالحركة واجتمعت إليه الجيوش من القبائل على المعتاد
من طوع الأمير . فخرج إليهم في خيله ورجله فطوى المراحل حتى
نزل عليهم فاجتمعوا بجموعهم لقتاله . وتحزبوا لحزبه ومن إليه
فقاتلهم أشد القتال أوائل رمضان عام اثنين وستين وألف
وهزمهم هزيمة شنيعة وأثخن فيهم القتل حتى ظن الناس قطعا
أنهم لا تقوم لهم قائمة أبدا واستراح المسلمون من فساده فيهم
وعفا عنهم فيما مر ذكره . وسيأتي عن قريب . ولله الأمر من قبل ومن بعد
وفي يوم الخميس ثاني ذي القعدة الحرام عام ثلاثة وستين وألف
ابتدئ أساس المسجد الكبير الأعظم من مساجد الزاوية البكرية
الدلائية حرسها الله تعالى واستمر بناؤه إلى تمامه وفي يوم

الاثنين التاسع عشر من جمادى الثانية من عام اربعة وسبعين والف
ابتدئ في بناء منارها وفي يوم الاحد الحادي والعشرين من رجب
الفرد من العام ابتدئ في بناء اساطينه واتم البناء بعد الا ان
كمل الجميع وقد اعتنى بذلك كله والاعتناء والانفاق بتيسير السلطان
ابو عبد الله سيدي محمد الحاج رحمه الله **ووجد مقيدا ما نصه**

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما
ولينا بحول الله الفقيه الاجل السيد محمد بن عبد الله العراقي الشريف
الزكي مستحق الخطابة بمسجد ابي مدين الغوث المعروف بالرميلة من
عدوة فاس الاندلس ليقوم به ويتسبب بجزاءه ويعتني على ما كان
عمره الذي من احباس المساكن المحدودة عليه بخطوطهم اجمالا وبعنا
في حياتهم رحمة الله عليهم عمرا والواقف عليه يعمل بمقتضاه
والتيسير والاجر والسلام وبتاريخ اواخر شعبان من عام خمسة
وخمسين والف عبد ربه واسيره عبيد محمد الحاج ابن محمد بن ابي بكر الدلاوي
لطف الله به وفي عام ثلاثة وتسعين والف خرج من فاس جماعة من
الاعيان للزاوية البكرية فتشعبتهم ما اهلكهما من مولاي محمد بن الشريف
لنزوله ببلاد الحياينة واستباحوا لهم الزروع وغيرها وفي
[illegible] من عام اربعة وتسعين والف توفي السلطان ابو عبد الله سيدي
محمد الحاج في فرقة ازرو ومخرج اليه اعيان فاس وقاضيها فبقوا

منها اليه ثم رجعوا من عنده اول ربيع الاول من العام وفيه توجه
منها الى ادرار ودخل فصل الشتاء ورجع الى البلاد وفي عام تسعة
وتسعين توجه حركة فيها وانفر من اقربا وليد قاسم بالموضع المسمى
بتامزودة فقاتل فيها الاحقيقا ورجع بعد اقامته اياما قلائل
بعد ان اذعنوا للطاعة اجمع وكانت تلك اخر حركته والله
اعلم **وكانت** له رضي الله عنه المآثر الحسان كبناء
القناطر واسوار المدن وبناء المساجد والمدارس وضرائح
الاولياء منها قبة مولانا علي ولد ام الربيع وقنطرته بفاس
الجديد والسقاية التي بباب المحروق ومنها ضريح الولي سيدي عبد
الرحمن الشامي خارج باب الجيسة وضريح الولي سيدي بوعلي قرب
البلاد ودار الاضياف على مناكحي وادي فاس الجديد والكثير من المآثر
الحسان التي تكل عن وصفها الالسن . **فائدة في المناقب**
ولما دخل الشيخ ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الشريف للزاوية
البكرية وكان دخولنا اياها يوم الجمعة قبل صلاتها وصلى الجمعة
بمسجدها الاعظم الذي يخطب فيه الشيخ ابو عبد الله سيدي محمد
الزاوية لقيه صاحب الترجمة واخذ عنه وانتفع به ووعظه
بمواعظ لا يستطيعها غيره وقال له انت فرد زمانك قد علمت
اهلك ولا امن الا على نفسك فعرف السلطان بمواعظه وانزله في

دار

وأمر في يده منه فبكى في يده إليه فبكى الشيخ فوقف إذا جاء
الأمير تعظيما له فأنكر بعض الناس ذلك لما أنكروا الوقوف عليه
بنوع من وقوفه فقالوا أما للمنسوب إلى الله والوقوف على الملوك فبلغ
ذلك الشيخ فقال الأدب الأدب مع الله تعظيم من ولاه من الملوك
بالإيالة الشرع وكان لصاحب الترجمة رحمه الله الباع
الطويل في المكاتبات نظما ونثرا من حسن الإنشاء • ويقيم ما يريد
كيف شاء • **فمن نظمه** رحمه الله من صدر كتاب يعتذر لأهل
فاس

يا أهل فاس ومن بكم قد حلا ۞ لم يصرف بها سوى من أما
للكبير من أصغر ومن كبر ۞ وذلك أمر من أمور الهما
أقسم بالله وآياته ۞ والفضل لا يخفى تحت الكسا
إن لم نرد النفس عن غيها ۞ لأمر من ربكم والسما

ذكر خروج أهل الزاوية الدلائية منها عن الطارف والتليد وانتقالهم عنها وتلمسان وغيرهما من البلدان لما قام عليهم السلطان مولاي الرشيد ۞

صح
لفاس

من جرى من الإشارات • ووضح العبارات • على لسان غير واحد من
عصر الملك الواحد • بأن أهل الزاوية الدلائية لم يزل من

الانتقال والخروج من بين الاولاد والعيال وترك الجليل
من الامتعة والاموال وتفرده من كل معربد وفاجر ومكابر
ومعاند بما سواه وضح من نسبه واقبل من عصاه عزوا وعزا منهم
من جهل وفقد وكيفية ونقمة الى ان غشيهم زمانه
وعمتهم اوانه ومن ذلك ان الرجل الشيخ الشهير العارف
الكبير سيدي محمد بن ابي بكر رضي الله عنه اشار الى ذلك بانه قال
لاخيه لدى ذات يوم سيحصل لكم محمد يعني ولده سيدي محمد الحاج سلمنا
فقد فقيد وتدعونه اخيها يعني فناء المشكنة فتح جعوته فلا
تجروه اخيها وتلتمسوا السلم فلا تجروه فهذه من امر الاشارات
الواضحة قال راويه فكان الامر كما قال انا لله وانا اليه راجعون

اللهم اجعل لنا في الملكوت رفقا وفي القضاء لطفا وفي اللطف
رحمة **ومن الاشارات** ايضا ما حكي ان الشيخ رضي الله عنه
اخبر ذات يوم بموضع كذا بانه يخلا الموضع منا الى الا يزورقا
من مقامه رضي الله عنه فرعا وقال الله حسيبي على من كان
قلبه الى ان لا يخرج من عمومه ثم قال الحراقي لو علمتم ما اعلم من
ذلك فكان وورد الرسم الاخير او معه فيه مرد الى الموضع الموضع
كما قال منبرا الله والامر لله من قبل ومن بعد **وقال** العلامة ابو
العباس احمد بن يعقوب الولالي في مباحث الانوار لما تكلم على

جواز

جوار ضريح سيدي محمد بن عبد الله الشريف المتقدم الذكر بالزاوية
الدلائية وأقام فيه بها أياما وخرج الشيخ في قوم من تلك الاتباع
ومشى بخارج أسوار البلد يغني ويدور بها ويطوف عليها حتى
كاد أن يأتي على جميعها ولما رجع قال لبعض من كان معه من أصحابه
أتدرون ما السر في طوافنا على بعض أسوار مدينة البلد فقالوا
له لا ندري فقال لهم السر في ذلك هو تأمينها مما يخشى منه أهلها
قال ومن يوم قال الشيخ ذلك لم تزل في ازدياد الأمن وأمنت كذلك
حتى أتاها ما قدره الله فعل لما هو معلوم **وذكر في المتاجيب**
أيضا أنه لما قرب انقراض الدولة الدلائية أخبر بذلك الشيخ سيدي
علي بن عبد الرحمن رضي الله عنه ونفعنا به وقال إن الشريف الرشيد
يتولى بعدهم **قال في الأزهار الندية** حدثني بعض الفقهاء
النبهاء عن والده وأخبره من الاثبات • وقد أدرك هذا الزمان أن المولى
الرشيد لما أن كان من أمر الزاوية الدلائية على سبيل الوفاة بعد
موت أبيه بعدها فارا من أخيه مولاي محمد وبقي مقيما بها أياما أخبره
بعض أهل الزاوية أن ما هو بينهم بسابع وعشرين وأربع أن سلطانا
يسمى الرشيد هو الذي يخلي زاويتهم وأنهم اقتبسوا ذلك عن بعض
الأخبار من أهل الكشف أو غيره وأقسم عليه أن لا يقيم بها وأن يسرع
الخروج منها مخافة أن يهجم عليه أحد من رؤسائهم بسببه فأدركه

فمن أمر ضيق عليهم فيأتون اليه أفرادهم ولعل من أمر الانتقال التي
حققت وجاء الرئيس في نحو المملكة ورغبته فيها وزحمته على
الخوض في طلبها حتى كان منه ما كان بأمر الملك الرشيد قال وقد
قالوا انه كانت لأهل الزاوية الدلائية زيادة محبة في أهل البيت
عن غيرهم من أهل وقتهم ومن الدلائل ما ذكره أحد من طبقته الشيخ
العربي بن عبد السلام الفيلالي في كتابه المسمى بالدرة المكنونة
في الدولة الميمونة. أن السيد عبد الرفيع بن السيد عبد الرحمن بن علي
من أحفاد محرز بن مولاي الشريف وولده مولاي محمد في ابتداء أمره
لاجئ وقد أخرجهما وقصد الزاوية الدلائية مستجيرا بأهلها
ومتشفعا بهم ثم قصد ليشافعه في مولاي الشريف وولده مولاي محمد
وذويه فبلغ الخبر مولاي الشريف بن علي فبقي على ذلك ودعا عليه
فقال اللهم اكفني أمر عبد الرفيع بما شئت وكيف شئت فأصبح عبد
الرفيع ذات يوم بالزاوية الدلائية ميتا لا أثر به فيه ولا علامة
في جسمه وبقي ثلاثة أيام لم يقبر وفي الرابع دفن بمقام جنب
الشيخ الإمام العلامة أبي عبد الله سيدي محمد المرابط وتبرأ منه
الرؤساء الأشراف وغيرهم من الرعايا فلا يلام فيعظم الشرفاء. ومن
عنا من العلماء. من كان منافيه المحقرون في آل الرسول صلى الله
عليه وسلم بالكلام في مساويهم ببغضهم فليخرج عنا. وليفرح

حبل وضيق منا لئلا ينزل البلاء عليه ويحجز الرجل علينا فمن اطلعنا
عليه بغير منا أنه مشتغل بأغراض الدنيا أو دنياه، وبعد القاويب
النشر بين ملائه وما فعنا، فليشتغل كل واحد بنفسه، وبالعمل
ليقوم طول عمره ۞ فكان في ذلك عبرة لمن اعتبر، وتنبيه
لصحيح السمع والبصر، ومنقبة واضحة لمولاي الشريف، وظهور
زيادة محبة أهل الزاوية رضي الله عنهم في آل بيت نبينا **محمد** صلى
الله عليه وسلم وزيادة تعظيم لمن منهم وتكريم وتشريفا، **و**كانت
هذه القضية في عنفوان إقلاع أهل الزاوية رحمهم الله **وذكر في**
الأزهار الندية أنه في ضحوة يوم الخميس الثاني عشر من ذي الحجة
الحرام خاتم عام ثمانية وسبعين بموحدة وألف خرج السلطان الرشيد
من فاس الجديد ومال كذا للزاوية الدلائية وكانت أملاكها فيهم
وتحتهم ووقعت الهزيمة عليهم ۞ **قال الشيخ أبو علي اليوسي**
في محاضراته كان الرئيس أبو عبد الله محمد الحاج بن الشيخ سيدي محمد بن
أبي بكر الدلائي من ملوك المغرب سنين عديدة واتسع هو وإخوته وأولاده،
وبنو عمه في الدنيا فلما قام السلطان الرشيد بن الشريف ولقيهم ثم
بمكان الرمان فهزمهم أوائل المحرم فاتح سنة تسعة وسبعين وألف
قال فدخلنا عليه وكان لم يحضر المعركة لعجزه من كبر سنه فإذا أهل القبل
يدخلون فيخبرون بالهزيمة فدخل عليه أولاده وإخوته والحضر واجزعا

صح يوقفنا

شربوا قبل إمارته منهم ذلك فقال لهم ما هذا الجزع إنه قال لكم
حسبكم فحسبكم ذه **قال الشيخ** اليوسي رحمه الله تعالى وهذا الكلام
عجيب لا يصدر إلا ممن وقر اليقين فيما له الحديث الكريم والمعقول ة
قال الله تعالى لكم حسبكم من الدنيا فكلوا واخرجوا مسلمين قال والإشارة
بهذا إلى أن الله تعالى وضع لعباده في الدنيا مآرب وجعلها بينهم
دولا كما قال تعالى وتلك الأيام نداولها بين الناس فكل من جلس على مائدة
المآرب وتناول منها ما قسم له فلا بد أن يقوم عنها بالموت أو العزل
ليجلس غيره ولا تدوم لأحد بل ولا يقام عنها من أقيم غالبا إلا بمرارة
وعنف ولذا **قال** صلى الله عليه وسلم في الولاية فنعمت المرضعة
وبئست الفاطمة ثم من الناس من لم يسمع بهذا المعنى ولم ينتبه له فصار
يتعلق بالدنيا محبا لها ولا يدري خروجا منها ولا يعتبر إنما يظهر زهوا وطربا ومن الناس
من علم ذلك وتنبه له ثم من هؤلاء من يفقهه الله فيعلمه ما أوجب له
الخروج المحمودة إما قبل الدخول فيها بالزهد فيها والفرار منها علما
بغائلتها دينا ودنيا وإما بعد الدخول فيها بالزهد بعد الولوج فيها بالتعفف
والاحتياط والعدل والرفق ومجانبة الجور والبغي والخرق أما
دينا أيضا وحذرا من المكاره في الآخرة وإما خوفا وتحرجا
وحذرا من اختلالها واضمحلالها **إلى أن قال** وقال أبو عمر بن عبد
البر تكلم معاوية رضي الله عنه يوما فقال له أبو بكر بن

منها ولم تنل منه وأما عمر فأقبلت إليه ولم ينل منها وأما عثمان
فأصاب منها وأصابت منه وأما أنا فمن انتشب وده منها قال أبو
عمر وأما علي فأصابت منه ولم يصب منها ثم قال في المحاضرات
بعد كلام طويل وكل من تعرض لتأمير السلف فإنما أتيناه من السقم
المتكلمين من تفنيده بإفادة العقول لئلا تضيع وأما من عنده تبس فيه
ما تشتبه من الاشتباه أما على من الغافل فلا يغتر بهم وأما
على الغافل فيغتر به من يليق فقاعده في التمكين والقوة والنزاعة
في مثل قواعد الطالع الذي لم يزل يعد الدين طريقا والحق جليا
والاغترار عليه فالحوبا ومتيمات في الدنيا احترازا من الزمان الذي غلب
فيه حب الدنيا واستولى على الناس بملكات الهوى فلا مرد إلا بها
على الجمع والمنع والاثر والاستقلال ومن امتنعه فالمنى في الكبير لا يغرك
بنفسه بالطلاقة فتنا ومن له موجود ومنا إن لم يكن له من المولى
لطف كلام هذا المحتاج إليه من كلامه رحمه الله باختصار **قال
في الأزهار الندية** وكان نزول الرشيد على الزاوية الدلائية
وأخذه إياها يوم الاثنين ثامن المحرم فاتح عام تسعة بمثناة
وسبعين بموحدة وألف وأخذ جميع ما وجد بالزاوية والقصبة
من الكتب والذخائر والأموال والسلاح والخيول وما بها الغرائب
من المواشي والدواب ولم يتعرض لأحد إلا من لم يمنعه فقال

ومن هذا النمط فعلوا للفقيه وسمّوا على أهل الزاوية أولاد الشيخ
سيدي أبي بكر الدلائي فيما اشتهر لهم في ما جرى عليهم مما ينبغي أن يذكر
وأن لا يكتم ولا ينكر، أن المولى الرشيد لما دخل زاويتهم حلم عليهم
الحلم التام العفو والاحتمال فما أسال من دمائهم قطرة ولا كشف
لهم حرما ولا عورة، وربما أمر بعض الظلمة من أهل المحلة قدرا في
شيء فانتقم منه الرشيد أشد الانتقام وأغار بعض الظلمة
على البلاد من حلوه ونهبوا بعض القصور طلبا للمال فلم يمر
عليهم يوم أو يومان حتى أوقع بهم عقوبته واستأصلهم وترك لهم
ثم عفى عنهم لم يفتهم وذلك كله ببركة حرمتهم ومحبتهم الثابتة
في أهل البيت النبوي الشريف وتعظيمهم إياهم ظاهرا أو باطنا
قال وذكر لنا بعض الناس الأثبات أن السلطان الرشيد لما قدم
الزاوية الدلائية بقصد الاستيلاء عليها الفقيه صاحب الترجمة
الأمير أبو عبد الله سيدي محمد الحاج وكان متناميا في البيو
فقال له ما تريد فقال له الملك فقال له هو لك الآن في محله فبايعه
ووضع له ما لا يقبض منه المال، وكان له في المقال، ووجهه
بأهله وحشمه إلى تلمسان، رضي بقضاء الملك الرحمن، **وذكر**
أن الرشيد لما أخرج سيدي محمد الحاج وأهله من الزاوية الدلائية
أسكنهم بفاس من حينه فأسر مدة ثم أمرهم بالرحيل إلى تلمسان

قال في تحفة المعاصر ما نصّه لمّا أن قام الإمام المنيف
المولى الرشيد بن الشريف، على الأمير القائم أبي عبد الله سيدي محمد
الحاج بن الإمام العالم الولي الصالح البركة أبي عبد الله سيدي محمد
ابن الإمام الناصح الجهبذ الصالح، شيخ المشايخ سيدي أبي بكر
الدلائي بالزاوية الدلائية خرّبها ودوّرها، ونقل منها علماءها
وفقهاءها بإخراج أهليهم إلى فاس وكان بها من الذرية البكرية
وغيرهم أعلام، وأجلّة كرام، وغيرهم من الواردين عليها والمغربين
بها، وحين أقلعوا عنها بكى كل واحد منهم وجمد، وقصر نجمهم
وقلّ فيها تفكّر على معاهدها أسى، وتمنّى رجوعها لما كانت
ومبانيها عليه، وتعلّل بلعلّ وعسى، وكيف وقد تفرّق أهلها
شذر مذر، وضاعت محاسنها ضياع مدر، وأضحى بأرجائها
البوم منشدا، وها تلك دوره لمن هي فلا تنعى، كأن لم يكن بها
أنيس ولا ذكرى، ولا لكرام مثوى حين منه غدا، **وقال الخبري في**
النشر ومنها البركة الخير الزاهد أبو سيدي أحمد بن عبد القادر القادري
الحسني ثم الفاسي رحمه الله أنه كان بها حين دخول السلطان
الرشيد المذكور إليها فاضطر للخروج منها وقال الكثير من لعظمة مرد
الاكتئاب، ورمت به فوش المحن والاغتراب، حتى إن منها لما
شاهده من تغيّر الأحوال، وكثرة الأحزان والأهوال، الرقاولة

ووصلت الصومعة فيها والفقيه النبيه الصالح سيدي عبد الرحمن
ابن اسماعيل والاخ الفقيه العلامة الاود الصالح سيدي محمد بن عبد
الرحمن صاحب سيدي احمد بن محمد بن محمد بن عبد الله معن الفاسي رحمهم
الله تعالى وسألته عن خبر الزاوية المذكورة واهلها وما فعل
منها لم املك عيني من البكاء بتذكر ايام تلك الايام والمقامين
وما فضل الله تعالى به اولائك السادات الكرام الاماجد فلما
رضي الله تعالى عن سيدنا احمد ذكرت لغلبة التذكر والبكا
قوله يخلي اصحاب مرفقه بقوله

تذكرت ليلا جمعنا بابن عمبر ۵ ومنهم اذا ما قوم الناس تسمر
لذكر وحب مسجد ابن عمبر ۵ سقوفا واصحاب البكاء التذكر
بلاد مغناه الحبيب بلية ۵ وكم من كريم تسلو قد تنعمر

الى اخر ما قال فقال السيد عبد الرحمن المذكور مثلا عليك اصبر ولا
تاس فلعل الله يجمع لهم ويجمعنا وبه ومنهم لا ظل حسب المحمد والنجاز
فالتصغير من الاشياء لا صولها ثم توجه اهل الزاوية وحل
من كان بها من العلماء الى فاس وكان الشيخ اليوسي ممن توجه من جملة
من ذكر الى فاس وقد بها بعد اخراج من ذكر لتلمسان وبه ترجمة الحاوي
وعندها ان الشرعة الرشيد لما دخل الزاوية الدلائية عمر
فيها المجالس وهي مجالس متعينة القدر ذاتين ودرست جميعها

ودلهم

وقطع من أطليهم عصا • وكسر من قناتها • وتكشف عن الجنا • وصادف
حصين الآلاء تغرب الأنس • منهم فذ كانت أوائل الشمس تحجب
الحوادث ضياءها وسناها • وفلقت كلا أيامنا وأقمارنا ومنا • وكانما أشرقت
وابتهجت • وقامت من منزلهم ونار وجنت إذ غلت عنها في مسامه
الأقلام • الزكاة فتجافت بوجوههم الظلام • وبانت منهما وباتت
الخزو • وفامت منهما آثار الصدور • ولعزكان أهلهما يعبون
آثار الرماح فتعقب الرماح آثارهم • وأذهبت وجوههم الصباح
وأنبعث أخبارهم • فبلغ إلى العرش • واعتمدت الليالي حتى
أمر من الأرض • ولم تنقطع الرجم والحسام • ولا تلك الخمر لجماع
فتحتها للدنيا ما أعطت لهم حقوقها • ولا أنقبت لهم صروفها • وتفرقها
ضاق عنهم الفضاء • وراق منهم القصر • نزل الأمير منهم عن سرير عزها
بالقسم إلى قبضة الأمانة والعسم • وكان له قوم سوء ما كان أقمد
نجيب • وأمر بالارتحال إلى العير • بجمع مع أهله وبنيه • وحشمه وذويه
والناس في حشر وأمر التواجد • والدموع من العيون كالغوادي •
وحملتهم الجوار • وضمتهم قوانبها مسالك القفار والبرار فساروا
والنوح يحدوهم • والبرح بالتوجع لا يفارقهم • فتنزيه منه واعواد
ومقر أهله وزواره وعواده • وعطلت المنابر من علامها • وأقفرت
المقاصر من علامها • ودفعت مكارم الأخلاق • وكسدت نفائس الأعلاق

والوفي لأهل النكبات، المقيل العثرات، من ذوي الهيئات، وأصحاب
المروءات، وكلا من هم والزائد بولي، ولا يخفى على أحد، والأيام كن أحيانا
لتفنيها، وأبوابها وأوقفه لمجتليها، لا ينبغي من يجنيها، ولا تبقى على
موليها ومن فيها، أدنى منه دار رحلته، وأخرجه من دار الحلول، وذلك
عن أمره وإرادته، وأمنوه الفضل والشرف من مثواه، وأنجحت نفوس
النجباء، وانكشفت عنه غمة طلب الإمامة، وكل يبلغ إلى أيامه
معجله ومؤجله، ومبلغ الكتاب أجله، انتهى منها، ومن غير ما
يتلفظ، وبالله الإعانة والتوفيق، **وذكر من تحفة
المعاصر** أن الشيخ المومى له أمره الرئيس بالرحيل من
الزاوية البكرية والزمه النزول بحضرة فاس، والتقعيد للتدريس
بها امتثل أمره، ووصل لحضرة فاس، وأقام بها متصدرا للتدريس
فأخذ عنه ملا كثير، وجم غفير، منهم من أخذ العلم، ومنهم من أخذ
الورد، ومنهم من أخذهما معا، ولزمه أهل الاعتناء المنتصبون، وانتفع
به أهل المغرب انتفاعا ظاهرا، وكفى منه ما ظهر ظهورا باهرا
وكان الرئيس يحب إذا قدمه بفاس أو مكناس وتأتى منه إلى البادية
فعاقبه في ذلك فاعتذر له بأنه رجل بدوي المولد والمنشأ
وحسنه أيضا الأول اعتذر وعاقبه ذات مرة في كثرة مقامه في الزاوية
الدلائية وأهلها فاعتذر وقال الأنا فقيه في ما ولا أجهل وإنما قال

من أهلها

من ابياته الذي بين الكتب والاجوبة للزاوية واهلها منثور ● وقوله
بين حيم منظور ● وما بين الناسين من اوراق ينور ● ولذا قال غير من حقه
الحاذق ولغز اخشر وهي تحج المغرب احشائهم الامام الذي وقع على
علمه وعمله الاتفاق ● شيخ مشايخ المغرب على الاطلاق ● ابو علي
الحسن بن مسعود اليوسي اذ قال في قصيدته الرائية ● التي رثى
بها اهل الزاوية البكرية الدلائية ● وذكر فيها اخفاء الزمان
عليهم بعد الاحتفاء والالطاف ● وتعنته بعد الاسعاد والاسعاف
فتكلم في عفائها واطلالها ومنازلها ● وذكر قصورها وحدودها ومعا
واماثلها ● وبكى ايامه فيها وعيشه وتشوقه اليها والى جماعة
اهلها ومرافقه لهم مع ما اشتملت عليه من الوصايا والحكم ● والامر
لبنيه بالتعلق في الجود والكرم ● وذلك قصيدة فتتبع وقف فيه بعض الاف
ومن متنها على الكمال

اكل حبيب الغير لان منه السرا   مبادي ونعماه العفيف بما جرا
واسئلة انى يكتم الدهر ما عسى   ومن غيره وان اللوم اذ وجد اعذرا
ومن كنت استغنيه حسن قومي فرقت   جرى الدهر فيما نستفيد وجلي الجرا
علاه ومع الغير قطر هنا نشده   فراب عباد افتقع الدمع انه تجرى
وكانت من روح اليم تجنى عوارضا   وبعد النوى اضحت مرابعها القفرا
وكانت عيونا للحاوية غوارملا   ومالها وحطب الدهر كله بها غيرا

اغل

ليالي كان البين عن حضرة الحمى   صروما وقطع الشمل لم يحل نزرا
وكانت رياض العيش تزهو مونقة   فلا سمعت أذن بأرجائها وزمرا
وجنته منها كأينع مجتنى   إذ الحبل في كل مكلمة تجزرا
وكانت مرامات الوصال مرامة   على القوم حينا لا أمر بها ولا أمرا
بحافة أخران الصفاء كأنما   فلا تختشي منها خمارا ولا مسكرا
مبيتنا ليالي الوصل سحر ورقية   ويغشى البلى الآن من بعد فقرا
عدت عدوة أيدي العوادي فأفلتت   فلا مثل ما قد كانت بعد نضرتها غبرا
وأبدل ما من أنس الديار وأمثلها   بوحش وتحويل الأصيل فقفرا
وبينا جموع الحي كالأتراح شتتها   بماء وما تخشى عقابا ولا فقرا
وكالأنجم الطالعين تألق العلا   وصاحبوا الملك الذي قادهم اليسرا
أضاءتهم عن آل كمال الصفا وقت   أكفهم من كل ما جمعت صفرا
وردتهم مثل النهى فإذ أرادت   تسمنا بشنع البغي أو واصل والا
فأضحى بأرجائها البوم منشرا   يردده مما قال أمر فلا يغفرا
كأن لم يكن فيها الحبور إلى الصفا   أفسر قلب الأكرمين وحزمهم عمرا
فلا قلب إلا وهو مغض على القذى   ولا غير إلا من يجمع النجا حمرا
ولا جفن إلا وهو مرخ بمن ولد   ولا هم إلا وهو يكسبني العبرا
صبرت فواس للخطوب فلم تزل   به ربما أقضي نعضا ولا صبرا
وأزمعت لكن الروع عني تعزيا   فلما جرى كالنهر لا أملك النهرا

ووجهه

ووجهت نحو الغرب اعني به عزمتي   صبيحة في فلا الغيث زهرا ولا خضرا
واحسب ما قد كنت احسب وانما   تحكمت نيات البين في واحتي صفرا
الا قل لازواج الصبا لا تغادرنا   فان بازواج الجنوب لنا ذكرا
وقل للبروق الشام تغمز سوقها   فان بروق الغور حين تما تبرا
بلاد اذا اوفنا رضاة تعينها   فما الرضاة الغيث فلتمس النغرا
وان نحن زرنا بالشرا مرتاضها   ارضنا فجاءت حولا على الغيم النمرا
ديار لاهل الفضل بها وتسعفنا   فلا تذكرن نجدا ولا تذكر الشحرا
وازرى على من كان من صبابة   اليها فزرها اذ على مثله فزرا
فمن في بلاد بها اذ لاح وفره   وقر بهم عاقلنا الى الطلع المثمرا
ومن بين وصات تغور حيا ومنا   على الشمس منا كلما ابتهجت زهرا
ومتيمات واد يتبت الرفق اكده   ومتيمات وفض وطلع الشمس والبدرا
وعرف فرات تستفيد وفائده   وتطعمه زادا وتبصره وفرا
فمثل نفحة تطعيمه المسك فائحا   ومثل ثبنة تطعيمه النسر مستمرا
ومثل طلعة تطعيمه البدر طالعا   ومثل لمعة تطعيمه النجم مقمرا
ومثل وقعة بين الطلول التي مضت   ضروب اللالي في معالمها فزرا
ومثل فطرة يوما الى المنصب ومنا   تشوقنها العيفاء والروضة النضرا
متنالك اجزاء الفؤاد وحبسه   ملم للحمى امر فما تطلب الخمرا
نواليهم لا عز منوى لنحو امثم   كما العظام زامل المرضع الضيرا

فطا

وقفنا عجابا لا عجابا لعنهم فمثل ما   أبو حسبة عنهم إذا انجم الفجرا
بمنا اليمن ضمنوه ابن ملوح   ومنهم تنجا الخنساء إذ فارق صخرا
فما أنفرد الحسن الجميل على النوى   وما أغزر الدمع الطويل وما أجرى
فلا مثوى بحر وطيب نسيمها   وريح خزاما إذا انما وفي العجرا
وعزمة من آب سلسبيل تحته بيه   ألف الغوانيه في جرابها خمرا
ومشمولة صهباء ما فاه لها   برا ووفيه الخافي ولا أقلت العذرا
بما ساقت الأرواح من قبل خلقنا   ومن بعد ما كنا وإذ نبلغ الحشرا
فكم ولمت ملكها ابن عيسى وقالبها   وكم الطرف سنبلا وكم منفعت بشرا
إذا ما تحسامنا العشوق تخف بها   جنانا ولا كرمي تجي عيني منا اخرا
تحمله الأوزار عن مترف   بأعمالنا العظمى وكم قلب الوزرا
ويبدو عليه الغنا وقسمها   أوانا وتعلو الدنشر والسعة الحمرا
وتورنده فنبطا وتنبطا ومن فنه   وجمقا وتشيافا وتوريده بيغفرا
فلولا رعاة الغوز منها بيمن بنيه   فرادى وعفا بيل السوى والحدى المغرا
لكانت ألف البيض فصرح بالنجوى   زجاجة أخشائه فلا املأ الجبرا
على أن سنن الزمن لينشر بشارع   لمنش غمر من أفشي بإحزافيه عمرا
منون الزمن لا نبغ على متخشع   ذليل ولا في نحوه مرد اكبرا
حسام إذا ما صمم الزمن في أمره   عزا وقد بين الورى فضا امضرا
وريح سموم حينما هبت مرة   تعقبت معافية واه بعونه مرا

دسيل

وسبل الذي أما لهم الأرض أصبحت أفاحيص وانقلبت كرا وتيما الكبرا
ولنقمة صور ما تغشى خطيئة فينطقوا لا الأنعم الغضر والعفرا
غشوم فجائر ثاغ من ياسر غادر كموء ولا من حسن ما لقيه خزرا
فلست عجيبا ما أتى من عجائب ولو اطلع الغبراء واشتغل الغضرا
ولست بنهر وما أفاه وما قرى ولا بغيه ما أعلى وما أقرا
فكم من عظيم يعتلي فوق قادح من الجمر أذوقته صوارمه جزرا
وكم من مليك كان ذا من بعزة وعزوا بالوا العيناء ولا بعرا
تغنى بالازراء حتى كلاهما لديها منه علم بالذي فرا
وافقه في استغناء وما فتر أعمره وما غر حتى ما انتقال ولا اثرا
أدار على وادي الضح بما طوحه وانبعد على عبد الملك العمرا
فاودع منزل التمر يقرا بمرة واودع منزلا قبر فينطبه القبرا
وما وقف ما شاء في غلو ابه وعن بيتا العلمي قز لهما فتما
وغادر في تلك المزامير غيبتا ليعبر عزت من بنيه احرانه غزرا
تحلى نحورا بالمدامع ضمرا وكانت تعالوا نحليها نشرا
وضم بما تعصره بغير قبضة ومجد على نسم لمنصور الثرى وقصرا
ومن الوصالك المغاصير كعبة فلم تزع البيضاء منها ولا القعرا
وأنت فيت الأوطاء منها بمنع حتى معتبه من بغير ما الظلمت كفرا
وخر على اولاد جعفة وذبلة فجر عمها عمقا وانقصما صغرا

فصاروا لأعقاب الزمان جزائرا وكانوا لقوم ماء أعين تسلف الجزرا
والعفو على الخصم فعفو وقاعهما ورام بقيه فلا تبعها تزورا
وأذكى أوقات أعينها وتبهتس فقاد الكماة لم يبرز كأفعله وقرا
وكم على قروانة أوفل عن شهما فما فاق عقفا منا ولا احتمل الاصرا
وعاد على بغراد فاختمت ملكها ولم يحترم أملاكها النجب الغرا
ورام ابن عباد بحبني فمنا له وأعلى منها ما بيد الغاب والكبرا
أبيه أبا عمان كلاه فز قريه من افتك في تلك الجزيرة من اشترى
ولم يرى أو فنكيد عيهما متى مزها وفتنتها والزمن ما يحتشي فكرا
مثل قمر في صولة الزمن فعرفها أتنكد على ذكر وما يعد قترا
فكم من محب صادق الحب وصفه أنبعد إذ منار قو منكحت الغزورا
أو أوام وصل الحب ألفاه في السوى يسارع للاهجر أجفانه ولا غزورا
على الفقد والعيش وانه مطوقة كأنما الغرفاء فر الفنا وكرا
فلم تنسب الزمن المشيب أن فرا من الوصل ما قد ابرما وما وزرا
ولولا سما بالغرف منها وبالهوى جفاه وبالوصل الفصيعة والهجرا
وأبدل أذلا الا فتر وهنا وغمه وذاك اللذين الغش منهم ولا مرا
فلا تشتمل للحادثات ولا تثق فما وشمت يوما عموم منها مفرا
فمن بينما مغتبط ومن فوق عما الفتى وفتلنا فكمنا وفكلتو منا مغرا
ولا تركن للزمن ان نعيمه ظلال سحاب تمسح السهل والوعرا

فيسئلا

فبينا فتى آمنا في كنف بيته وسنا   فجاءته بالأقيال في السبب الأخرى
فلولها بابان على عفو خلقه   ولا منشر من فعله يسرا ولا عسرا
فإن نمى فليظفر وإن ساء فاصبر   لعفو منه في الرمس لا قاله القبرا
عشية فتى يحسن فعز من عشرة   ولا مكثر بالضمر في حكمه الجبرا
وإن كان مقتضى الحكمة والحزم نيل   جنابا ولا عارا بعد مكر الغدرا
وإن تستغنك الغاد وفاتت بعاقبة   فتستوفان من بعد الرمس فافطن الرمزا
ألم تر أن الرمس حبلى أمينة   ولادتها يوما وإن لم تكن فترا
فمن منجح فتلطى ومن مخز فتمسى   فتا لجهما صغرى على الإثم أو كبرى
ولا أنا من أقنائها إن تحتسبوا   إليك ومن يشبه أباه فقد برا
وكل بنيها فانتماها ومن منهم   على ما قضى الله الكريم وما أجرا
ممتوقا أو تجزاء غناء منك تعم برا   إليك وأمرا ولا فالبر الود والبرا
وأصغوا إذ فيما أتاه منك والكفرو   جميلا وقالوا ذو معاصين لا تقرا
من الكذب أخرى وأنه يخلوا ومنتصموا   إليك وقناء إن كان قولك أو نثرا
وإن لم ير هوا منك خيرا وأنهم   جفاء وإعراضا فلو منك الكفرا
وينشوا عنك المذمات وإن ولوا   جميلا أعادوه الغشاوة والوقرا
فلا تقطع نفعا للذي فوق منهم   ولا للذي أبدى الجميل ولو أطرا
فإن بني الدنيا عبيد مثواهم   على مركز الاستواء ولهم كثرا
وإن مثواهم حيث من تعب الغنا   وللبيس مثواهم حيث من تعب الفقرا

صح
ومن

إذا ما رأى ذا الود من لا ذو ود من قلبه وان لم تنل الود من جانبه فكدرا
وإن قصروا فالحلو منهم وأوحد وقرّوا النكير منهم فقطرا منزرا
وقالوا بعيض له ذا ومعنى وقنا فقولوا قبيل منهم أو من العفرا
فإن غاب لم يغفر وإن غل لم يعز وإن قام لم يشهر وإن ظاق لم يغرا
وفي الله للنبي واللبيب لقاصد عن الناس والمحروم من حرم الاجرا
فكن وابيا بالنفس عنهم ومغضيا بعين التعامي عنهما فتنقي الغبرا
ولا تجعلن في غير مولاك همة محمد ترى لو تعلم النفع والضرا
وإن شئت ودا منهم وموقرا لعرضك أو صنت النباهة والذكرا
فشاركهم فيما يعز والنعم مؤونك واستبق التجمل والسترا
وقل للورى لا تكلم وعامل ولا تقرم وواصل ولا تقطع ولا تعرض الهجرا
ولا تقتحم عينا كد واشمل وسهلا ترى المرء من مثوا مقعظمه فقرا
فإن العفو بالتغيير لا للبشر مجزى فما مات ود الكون أصرابه كسرا
وملّ على الغض الزوف جفنه إذا كان في العتباء ينعمك البشرا
وذلك قلبي الناس كالنبت وابل لزين وغض كلما فقمه مترا
وفرما قلوب البين في الثرى تجمعي مكافئه حقو تخلصه مبشرا
وإن كنت لا تعثر إلا بمليم فتستأذن من يكسو العمائم والخمرا
وإن الغنى ما أوزعه المرء في الورى نحا من في الدنيا وعليا في الأخرى
فكم منتج لم يرام الضيف ساقد وكم من ترى كامت بحامد فتمترا

قبلاخير

فلا خير فيمن لا يعاشر بحلمه   ولو كان تحليقا بجو العلا النسرا
ولا مال في الدنيا لمن لم يقتسم وانما   بفيض على العافي ولو جمع الوفرا
ولا فخر للمسيك يوما ولو حوى   وأثل ما من كان أملكه كسرى
فما فخره على الفقراء منه بنافع   من العري تغني ما تشاد بدعفرا
وان تعوز النعما بجبر فيما تمد   بخير القرى ان تمنح الرحب والبشرا
وعاجل لمثواه المثواة مع القرى   وفي الضيف عزفا تشفعه ولو نزرا
ثم للمثوى الى الفناء مقيل مثوى   ولو انه في المجد فوق وطئ النسرا
وكن بالذي أملاكه الله مرتجى   فمن عاد صفوا يبلغ الانجم الزهرا
ومن لم يكن مستغنيا بغنا عنده   فليس بمنفك عن الناس مفتقرا
ومن لم يكن ينثني عن العيش بالرضى   بقسمته لم يبرح الدهر مضطرا
ومن لم يكن بالحزم يحكم ما يعد   فرى قصده عن نجحه قبل ان قفرا
ومن لا يداري من صغيره ومن معشره   لبئس عميد كان الغماء له قصرا
ومن يعتمد تحتا فوقه ومن يتول   عجاه فما منه الورى غير منكرا
ومن يتطلع عن قفا الاغيار امثلة   فليس بلاه من جزاء ولا منكرا
ومن يحتسب بمثل لحظ الغيب واملا   فلا العقل يجلو ما العياء ولا الفكرا
ومن لا يقيه منه الدين والحيا   وترم الورى يلقى المعقد الشمرا
ومن لا يحفظ قوله ويستر الخنا   فلا يبتعد يوما اذا اسمع الجهرا
ومن يمنع نزلا لابناء وفي القرى   يكن منظرا حين يستم الصفرا

ومن يتجنب الأغيار ويقطف فيما به   ومن يتجنب الأوزار يكسب نيل العلا
ومن لا يخل النفس من فخرها نسم يوم   له أجر في الأنشر فما يرام الحمرا
ومن لا يجاوز في الصبر يوم ومجد   يحز لعبد فعلا إذ أفوز العشرا
ومن يوم في البغض الودود معنقا   ليقطع فيومه فليفد النفع والغرا
ومن لا يكن يمشي تجافياه يبين منها   أو أما أن يحوي الرغباء أو إن أنس الزهرا
ومن يطلب العلياء فليق من أمهما   منيبا الروح في الجماح لا أشرا
ومن يتبع ودي المعالي بهمة   لعوج زموها للعلا يجمز المشترا
ومن لا يهزل الكامل ويحمل   به الأوزار في منار من فقل وفرا
ومن لا يكن منجو لخطب فلا مكنى   فقيمتي بشرو ولكن ما أسر أمكبرا
ومن لا يخل النفس منه يحلما   بقرا فقعا ألم تاد من أجيد حصرا
ومن يرض معروف الإله وفكره   على كل هدا الجمر السمع والمشترا
ومن يغن بالمولى فلن يعدم الغنى   أو ألم يجز يوما الجبنا ولا أقفرا

انتهت **وقد** اشتملت منها الرائية على ما فيه نهي وأمر ويستبين منها ومنها من جودة الوفاء المقصود والتأثير على قولات حسني الخال المعهود والتمر الى معامير ملك الأطلال والتشوق لمن كان بها من الفضلاء والآل والتشبيب للزمن وأحبابه وتعلمه بأمنليه وأحبابه والتأسي بذي التحمم لشهر وعبه والمتطلع فيما تعبر به من فكره عن معه وعبه وعدم الاشتغال بما يخرقه من العوائد

وثرى

وترك الركون لتقييد الخلائق ۔ وعدم الثقة بدون تقييد ۔ وقلّ من
يتيم أمثاله وذويه ۔ ورفع الهمة عنهم ثقة بالمولى فيما الأمر
منه وإليه ۔ والتخلي عن خلال الخزايا والكبائر ۔ والتحلي بحلل
المزايا والمفاخر ۔ والترقي في أدراج حسن السجايا لأوج المعالي
والمفاخر إلى غير ذلك من الأخلاق والأوصاف الحسناء ۔ التي
تخجل الثريا ببهائها في البين والرفعة وتعجز ابن سناء في الإجادة الإنشاءة
وقال الأمير سيدي محمد الحاج رحمه الله معزيا في عمه بعض الأعيان
من الفاسيين النبلاء ۔ أنه لما وصل خبر فقده من أمثاله وبنيه ۔ وأقاربه
وذويه لم نرضه فلمسناه ۔ ولم نجد بينهم أنسناه ۔ ونزلوا منهما
بحرم العباد ۔ فمستمسك من الفرج بالمناب ۔ من مالك أمور العباد و
ورب الأوقات ۔ فالإله الذي لا إله إلا الله الله الله أكبر كما فطرناه فنرحل
من ربقة الجوار ۔ ومنزل عز وافتخار ۔ فمن قبلنا منا ومنزل ذل وافتقار
والأمر لله الواحد القهار ۔ **وقال** بعض الأدباء في وصفه ما جرى
عليه من الأحوال في المقام والتي قال لما فقد من بلاده ۔ والغريب من
كان معه وتلاده ۔ ومتاز بين الشعر وأهل تلمسان كالرفيق
من أسفاقه صعود قرائه ۔ ومقطوع أطراف المزار عن أهله ۔ لا
يؤنسه مؤانس ۔ ولا من يقوم الأعمى فيما من تلك المكانس وكما انه
محروم سلوا ۔ وأما فيتنوع حلوا ۔ ولا يؤمل من كل عشر أمره وقوا

ولم يرَ وجهة مشتهًى مجلوّا • قال رحمه الله مفتخرا

يا من تشوّق في بلاد ليس يعرفها • يمسي ويضحي لم يلمم بالوطن
جنّب من العقل ما تخشى عواقبه • انّ الغريب لبيس الزاد والمحن
واحفظ مروءتك الشمّاء مجتهدا • إن كنت في غربة او كنت في وطن
إنّ الغريب له حقّ يعقّبه • على المقيمين من الاهل والسكن
كما الكئيب غريب في منازله • همّوا اتخذنا صروف الزمن بالمحن
فبعُ همّه متملكا من يعزّ العيشا • والزمن اقوى قضا املاك ان تهن
معاصر الزمن لم يكثر ضحى وعما • وكنت احسب ان الزمن لم يعن
قد جرى في غيبة كالكثير في قبض • او كالذي يقرع الاوتاد في الشجن
النار تعدو في قلبي وتلهبه • شوقا الى الاهل والاحباب والعطن
ما الشوق الا ليس ينسونا • الا الدموع على اهل من العفن
لا الفقد مرّ فضل الادم فتننا • وحيث حكمك ماوى فتصبّرني

وقال ايضا رحمه الله

ودفاع البرد لا شك في جمادا • أين امثل ومن بين شيمي قلا
ما انا بالحبر اضاح عن نمه • من كل مستشهد الامام سعفا وولا

فاجابه بعض الاحبة بقوله

ضاح لا تهنا سرّ او صرّة قردوا • بطلمتنا تمنع فيها وولا
مجمل الكنز بالله تغني • ان تستغلوا على الامام محلّا

بلا

فكأني بمرآة الشمائل ● عن قريب تقول أمثلا ومثلا
وبقي رحمه الله بتلمسان نحوا من عامين وأزيد أشهر ثم توفي
بها عشية يوم الخميس رابع محرم الحرام فاتح عام اثنين وثمانين
وألف ودفن من الغد قريبا من ضريح الشيخ سيدي محمد بن يوسف السنوسي
رحمه الله **وحكى** عنه أبو علي اليوسي رحمه الله في محاضراته
أمورا كثيرة وأثنى عليه ثناء جميلا وفيه قال الذي يقول بعض الأدباء
ولما اقترنت في الأمم مرتبته ● واستقرت عليه فنون العلم من
بين رتبته ● وأطلقته مفهومه ● والحقيقته محمومه ● وتوالت عليه
الشجون ● وكانت به ليالي الجون ● وكثرت تموجات الزفرات
وحمائم تمده مزوجا بالعبرات ● وجلت تمره من الكلمات والعثرات
ونقصت تقسيم من الأشجان والحسرات ● نفقته أقسمه ● وجاءته
منيته ● فأريح من تلك الأزمات والأحزان ● ودفن من غد موته
بتلمسان ● قريبا من ضريح عين الأعيان ● وحامل راية توحيد
الرحمن ● سيدي محمد بن يوسف السنوسي عليهما من مواهب المنان
سوابغ الرحمة وسحائب الرضوان ● فهو الموت ● ما منه مفر ولا
فوت ● فسبحان الواقي من سوء الحال ● ونفقه الباقي بعد فناء
خلقه ● فكأنك من أياديه ● من وقفت في يديه ● وجميع سهل ذلك منه
بما يعمه أولا وثانيا ● وحضر وقته إماما والعياذ إلى وقت

أن تحاله وخلعه • وإخراجه من وطنه وبعده • أخرى وملاقين سنة لا أنه إنما قد كانت عشرين متمحضة للحرب ولا للتعلم لما من كان قائم به من العلم • والاتصاف بالحلم • وبعث بعضا بتلمسان من كان معه بها من بنيه • وأقاربه وذويه • إلى الحمام العام فتوفي السلطان الرشيد رحمه الله ليلة السبت الحادي عشر من ذي الحجة الحرام عام اثنين وثمانين وألف بمراكش وكان بين وفاتيهما فقط أحد عشر شهرا وبضعة أيام • والملك المطلق الأعلم • للملك العلام • المنفرد بالبقاء والدوام • فتولى الأمر أخوه مولانا إسماعيل ابن الشريف • وبقي أهل الزاوية بمكانهم بفاس ولا تقيد نحوا من عامين وأشهر وفي ذلك يقول الشيخ العلامة أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي رحمه الله مخاطبا لعشائر أهل الزاوية البكرية لما أمر بنقل منهم من لناحية تلمسان حسبما في المحاضرات ما نصه وكنت لما نزلت بخلفون على وادي أم الربيع ذكرت من كان معنا بالزاوية البكرية من الفقراء والأصحاب وكانوا يومئذ من شتى قد أمر بهم لناحية تلمسان • وقد ألم بي الشوق إليهم لما لم عهدهم من طول الاغتراب ما هيج من تذكار الأحباب • فقلت

سلام على الأحباب غير مضيع • لمن ثم في كرا ولا الود ضيع
سلام محب لا يزال الغا مشوق • إلى رحلة من شمر قوا وفروع

فمى

فمن يسأل الركبان عني فإنني • علقت بمن خط فؤادي ومدمع
فألقيته يحكي زمزما وزمزما • بقلب كقلبي بالعراق صريع
ويسعفني في عبرتي عبراته • فيا الغضى في فيضه وكطلوع
فيجري إلى جنب الجنوب دموعه • وتجري إلى جنب الشمال دموعي

وقال أيضا رحمه الله وهو ببلاد الصحراء في التحنن إلى السيراء
وامثلها

ألا ليت شعري هل أروم نسيمه • غداة سنا الخفوق الكتائب مشرف
وهل أرومه من تسهيل موارد • سناك كمقصور القباب منيف
وهل أرونه فيقضي الزوار عنيته • كأن بنا فيه بجاد مفوف
ذكرتكم وبيننا وإني لمنزلج • بأفواز أقفار القفار الطوف
فقلبي وقلبي ذو انتياب ولوعة • وجفني بمنثور الجمان يكلف
أواذا استفيته الوصل غير مبهج • ولابد حنت عند العواذل قصرف
لقد منحت للقلب العميد صبابة • تكاد لها صم الجبال تقصف

وكان أمثل صاحب الترجمة كالدميري لولا حميه لما كانوا عليه من الاشتغال بالعلم والدين • والسير على سنن المتقين ولما سمعوه من الشيخ والرمز رضي الله عنه وأنه كان يقول له أنت سبب خراب منزل الزاوية وكان يقول ستجعل الكل مهلما فتصغرون بعد الود وحمية ثم ينكسر الشلم وتنقرض الرحمة وفي ذلك يقول الفقيه الشيخ الإمام

قول الشافعي رحمه الله

فليتنا من نفس بتمايط ، فقليل النفع زمان الرغد ،

إذا ما له الخير لم نرجه ، وإن ضعفوا ضعفنا معه ،

والنفس بالحيلة الغريبة وزمان الرغد من زمان الرخاء وإذا كان قليل النفع في زمان الرخاء فأحرى في زمان الشدة وكذا السلطان كان فإنهم ما نفعوا أشرافهم وحفظوا بسببهم ولا يفيد عنهم وليا فسبحان في الملك الذي لا يزول **وأما** من أتى متغضبا أو قبا أهل الزاوية رضي الله عنهم لما يلحق من أذاهم والحفظ لها ونصب فرقة منه ومعهم وأعوانهم والتلبيس على عزاته أو كلابهم وأمثالهم فسيأتي ذكرها لكل واحد منهم في محله إن شاء الله وفي تلك المرة مكروهة فيهم الكتب لمولانا إسماعيل بالتعطف والتلطف والرغبة في فكاكهم من أسر الغربة بالرجوع لما يليه والاستظلال في ظل البيت فردوا لرغبتهم وأمر بإجابة طلبتهم فكتب لهم كتابا بأمرهم فيه بالأوبة إلى الأبية والرجوع لما كانوا فيه من مآسر إلى القيد فلما وصلهم كتابه فرحوا به ورجعوا ومن سجن الغربة خرجوا ونجعوا وكان فيه إذ أمر بعض منهما وتلمساء ولم يفعلوا معهم شيئا من الإحسان وكان من صنع الله بهم ما ذكر بعض فضلاء تلمسان أنه وردوا أخبرهم الشيخ العارف الكبير سيدي أبا

بكر الطعام فحضروه على الشيخ سيدي أبي مدين بخارج البلد سيدي أبو
مدين وتلقاه بموضع منالط يسمى بباب المغراك فجعل سيدي أبو
بكر يلوم سيدي أبا مدين ويقول له بعثت البيظ أو لا بد فامتنعتم
ويستره عليه في الطعام وسيدي أبو مدين يلين له القول مكلاة وآخر
ما انفصلا عليه أنه قال سيدي أبو مدين لسيدي أبي بكر إنما أطلعهم
للشيخ علي بن حرزهم فلم يلبثوا إلا قليلا حتى وردت عليهم كتاب
السلطان مولاي إسماعيل يأمرهم فيه بالرجوع في جمع الكلمة
ولم يبق منهم إلا الفقيه العلامة الورع سيدي أبو العباس سيدي
أحمد بن عبد الله بن سيدي محمد الحاج بأولاده مع عيال والده لغيبته
بالمشرق فلم يقدر أن يفارق علم والده بأن زال عيال والده وهو
غايب عنهم ولم يقدر أن يترك لهم من يقوم بهم حتى ورد عليه والده
من المشرق كما قال في ذكر الكلام في ترجمته إن شاء الله وكان
رجوعهم في جمادى الأولى من عام خمسة وثمانين وألف فلما رجعوا
كان فرح لهم بقدومهم ووصلهم سيدي علي بن حرزهم فقدم الله بهم أجمعين
فيقعدوا به مدة ثم كتب لهم السلطان مولاي إسماعيل كتابا يأذن لهم
فيه بالدخول للمدينة الأولى وسكنى وأن يسكنوا منها حيث شاءوا
من خلوا حينئذ من مدينة فاس وكانت تعزو لهم فيها الأنفاس
وما كان عليهم يقدرون الذي ما لقوا قبله ويقدرون الذي عظمهم

وأعقابهم والكل من دولتهم ومقرواتهم وما الموفين والإخوام
أولادهم ووادهم وقال الأمر منهم فأدى في خروجهم أن شاء الله
وكان خروج أهل الزاوية الدلائية من العباد ورجوعهم لفاس
قبل الوقعة التي أوقعها الترك بأهل تلمسان بأمر قليل ولم
يحضروا لها ونجاهم الله تعالى منها **قال في الأزهار
الندية** وفي رجب الفرد الحرام من عام خمسة وثمانين وألف وقعت
فتنة عظيمة بتلمسان بسبب قيام أهلها على الترك الذين بها
مجاوزة لاعماقة من الترك الذين بالجزائر فعثوا فيها وقتلوا الرؤساء
الكبراء وأخرجوا أهل البلد منها وخربوا زاوية سيدي أبي مدين
نفعنا الله به وأخرجوا من كان بحرمه وعبثوا به يومين وسيدي أحمد بن
عبد الله أخرجه دون المحلة لغربته ووصيته والده عليه كما
يأتي ذكره فكان ذلك والعياذ بالله وفتنة شنعاء عقوبة لهم وزجرا
لأفعالهم على ما فعلوا بأولاد الشيخ سيدي أبي بكر الدلائي الذين كانوا
عندهم فسلط الله عليهم من قتل أفرادا منهم فأصابهم أقبح مما عملوا
وإن لهم أسوة الأولاد وكشف الحريم من النسوان وقتل الأطفال والرجال
نعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء **وفي ذلك أيضا**
فلما وقع لبعضهم ما تقدم من زمانه فتنهم وفي تلمسان نحو من خمسين
لما حملوا على بعض أهل الزاوية الذين كانوا بتلمسان قبل رجوعهم

فيها

بأن أخرجوهم معهم الى بلادهم على العهد والأمان طلبا للبغي
الزامي فغدروا منهم في الطريق جميعا، وقتلوهم صبرا، فلم يبق عليهم الا
أيام قلائل حتى أغار عليهم الشريف أبو العباس أحمد بن محرز السجلماسي
الحسني فقتل أميرهم واستأصلهم وأخذ بنتهم من أيديهم دون غيرهم منهم
من القبائل العربية، وذلك غيرة من الله تعالى على فرقة أوليائه
وعباده، وتلك سنة الله التي قد خلت في عباده لحكم مميزة عنده
ومراده، ولله الأمر من قبل ومن بعد

الفصل الثاني في ذكر الشيخ سيدي المسناوي بن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي رضي الله عنهما

هو الشيخ الإمام، قدوة الأنام، ومجدد الإسلام، بحر الأفراد
وملحق الأحفاد بالأجداد، محيي الدين، وعمدة المنتسبين، العلامة
المشارك، المحيط من العلوم بما تقصر عنه المدارك، ملجأ الوارد
والصادر، وغيث البوادي والحواضر، فريد الزمن، ووحيد العصر،
جامع أشتات أفانين العلوم، والمبرز في سائر أنواع المعقول والمنقول
إمام الأئمة، وشمس الأمة، وشيخ المشايخ، وصدر الصدور والأكابر،
ذو القدم الراسخ، والنسب الباذخ، غوث الإسلام، وعلم
الأعلام، وكنز الأنام، المتحلي بحلية الأولياء الكرام، الراقي الى

الله في السر والإعلان، والمناضل عن الحنيفية السمحاء بالقلم
واللسان، الخاشع العارف الأسنى الأكمل، الوارد من حياض
الفضل متسلسلا من وهبي، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو المسناوي
ابن الشيخ الكامل العارف الواصل سيدي محمد بن الشيخ الكبير
العارف الشهير سيدي أبي بكر الدلائي، وهي الزاوية الدلائية
البكرية، ذات المآثر الكونية، وهو أول من سمي منهم بالمسناوي
كان رضي الله عنه من العلماء الأكابر، والفضلاء المشاهير
ومن أهل الولاية والعرفان، وجلالة القدر وكبر الشان بحيث
عم فياه لا مساجل له، ونبوغ علم وحكمة فاق الزمان مثله
ولد رحمه الله بالزاوية الدلائية أوائل المائة الحادية
ونشأ بها وقرأ القرآن في صغره، وارتحل منها لفاس في طلب العلم
قبل أن يتمم من العلم فأدرك بها الإمام النظار أبا عبد الله محمد
قاسم القصار وحضر مجالس دروسه وانتفع به ولازم القراءة
على الإمام الأوحد أبي محمد عبد الواحد بن عاشر الأنصاري وعلى الفقيه
القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني وعلى الفقيه أبي
الحسن علي البطوئي وعلى الفقيه أبي العباس أحمد بن عمران الفاسي
وعلى الفقيه أبي الحسن علي بن عمران السلاسي وغيرهم من الأعلام
وحصل واستفاد ما شاء الله من العلوم، وكان والده من أولياء

الله

التدبير وفنون المنطوق والمفهوم، فبادر علماء الفقه والاصلين
والتفسير وعلم الكلام والمعاني والبيان والبديع واللغة وعلم
الانساب والادب والقراءات حسن المشاركة في العربية حافظا
للكلام مفتتن النظم ونحوه والادعية، حسن الخصائل لطيف الشمائل
مع ذكاء لا يوجد في سواه، وكلام احلى من الشهد في الافواه، وقلم
كالقلائد في اجياد الخرائد، ونثر بارع مستعذب ارق من النسيم
والطيب، وقد وصفته في الرسالة على ما اعتمد الوسيلة التي اجابه بها
عن قومه مولاي محمد الشيخ الاصغر بن زيدان ثم رجع للزاوية وذلك الحط
كله في حياة جده الشيخ سيدي ابي بكر رضي الله عنه فاخذ عنه علم
كثير من الفنون وتلقى الارادة له والازهد وانتفع به الى ان توفي
رحمه الله فلازم والده وقرأ عليه جميع الموطا وصحيحي البخاري
ومسلم وشمائل الترمذي والعمدة العراقية في علم الحديث وانتفع
به كثيرا واجازه في جميع ما حمله وما صح له عنه وروايته وقرأ
ايضا على غيره من المشايخ ودرس بالزاوية بعد وفاة والده واجاد
وصنف وحرر وانتفع الناس به في الفقه والعربية والنحو
واللغة وعلم القراءات وعلم الكلام وغير ذلك من انواع العلوم
وتخرج به جماعة وكان له القدم الراسخ في انشاء الرسائل
ونظم احلى من وصال ذوات الغلائل، فمن افاداته له وكان بالادب

بأزمتها وتجلت له شمس العربية عن ظلمتها وارتقى من المفاخر
من فوق الأفلاك وحاز من الكمال ما ليس يلحق مع السناء البهي
والجلال الجلي وحسن الشيمة وكرم الخيم وكمال الهمة
فمن كالأمير رضي الله عنه ما انعقد الحمد لديه ولا اجتمع نعم الله له
وأضحى بجنبه قوله وعمله فلما ابتدأ بتعقب محاسن فصيحة المغربي
وكفاية المتحفظ مصنف الشيخ الإمام العلامة الهمام المتفنن
بفك عقود المشكلات بأفكار مشرقة وتفسير المختصر من دواعي
المعضلات كبير علماء المغاربة أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة فلقفه
الله آماله وأوطاره ادمن ما لديه فشرع في إبداع الإجابة
بتمام وقصد اغتنام الأجر بإنجاح وإتمام فهو لعمري أقدر
بأن تخلع عليه القلوب أردية القبول وأن يمتع الله به عشاق
الاعتناء من كل المسلمين فاضل ومفضول اذ من تكاثرت علي محمده
ومقلده وإنما يتميز أسير العقول ومواضع المنقول وفيه أنشد
وأقول

فهو الرئيس الهدي للورى وافي   من جاء متشبعا أو من جاء وافي
فإنه من يفتح الباب وينضح مني   يغنم بالكلم المعجز لإقراء
لا زال الله يبقيه الشرع أفضل من   وأدنى من أكمل للعفو بأزواء
نعم له في العلم من تبيينه   كما رأينا له أكثره في كل إقراء

قضى صح

او

إذ قام منتصرا بالله مفتخرا ۝ بصارم منتض للغزو أعداء

وحسبهم من حروف الذكر الحكيم ومن ۝ داء عضال فهو للمستشفي وافي

أو عدة دون أمر الأهوال ومن ۝ تنبيه أدعياء أو تتبيع أخراء

مع أن مطلوبه استغنى لغير عجز ۝ فكن البراهين أو فكر من أوراد

يا أغنياء اسمعوا للآباء السلم ۝ أمير وعد النهار تقرأ أسراء

عبيد ربه المنساوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي **توفي** رحمه الله قتيلا غدرا سابع عشر شوال عام تسعة وخمسين وألف بزاوية غصيقة من بلاد تاماغت وحمل إلى الدلاء فدفن بمقبرة أسلافه رحمهم الله وممن أرخ وفاته بعض تلامذته بقوله **المنساوي وأهله في الجنة** فمجموع عدد حروف مبنى الألفاظ الثلاثة هو عام وفاته مع ما فيه من التفاؤل الحسن حقق الله رجاءه **و** رمز له أيضا بعض الأدباء بقوله

وفاز الإمام المنساوي **مستمرا بجر** ۝ دار النعيم بمنزل معرف فعدد حروف لفظتي مستمرا بجر هو عام وفاته وفيه ما في الأول من التفاؤل أيضا **و** يحكى أن والده الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر رضي الله عنه كان لا يهتم لغيبة أحد عنه من أولاده وإنما كان اهتمامه لغيبة ولده سيدي المنساوي صاحب الترجمة فإنه كان لا يقع له قرار ما دام غائبا عنه بل لا يزال يسأل عنه كل ساعة

مثل ما كان لا مهتما به غاية الاهتمام فلقنا لاجله مع أن من
أولاده من كان أحب إليه منه بكثير وما ذلك والله أعلم إلا لما
كوشف به من أنه يموت معهم لا عن أمر غير سبب فتحقق وكان
ذلك بعد موت الشيخ والده بيسير كثير كما مر وحمد الله
وحسن نيته الصالح • وعدم جزاء القبايح • وما أن العافون
ومتوجع لفقده المتملقون والمعاصرون • ووفاة والده الإمام العالم
العلامة الهمام • الأديب البارع • الحبر الجامع • سيف الكتيبة
الأفقية قد حمده بقصيدة قال فيه ومن مبتدئها

عوامل هذا الدهر مرفوعة البنا — فإن تم في خير فلا كره مفتكى
فكم من عزيز قد أذل ودولة — أدال فلا تنعي على الدهر أو تبتكي
فكاين من مصونة وبهائه — معرفة تشكو الجوانح أو تنكي
إذا أمه منه جانب ثناه جانب — وإن لاح يوما قام مال إلى الضنك
فمن ذا الذي لم تنقلبه معاده — ومن ذا الذي أبرى له صحة المرك
فأين الألى قروا وحازوا من قصور ومنا — وأضحت لهم سير الملوك إلى الهلك
وجروا ذيول الانتخاء بزهو ونعمة — وجازوا العلا ما قد علا النجوم والفلك
وعزوا وهزوا واستطالوا وطاولوا — ودانت لها ميمونة وأين الفلك
ونالوا الأماني في ظلال نعيمهم — وشادوا المعاني للغرابة والنسك
وقادوا جيوشا للعدا تحجب الرؤى — ولاحوا نجوما تحت ألوية الملك

وظل

وكان لهم بالذكر صيت ومأثر بلزانهم فضفا على عادة الحمد
وأذل الرقاب خضع نحو لهم على المغمع ففضل السحائب بالسعد
وشادوا المعالي لا العلا وركبوا كم من العوالي كل مرهفة نشط
وأنزل الأمة مكارم فضلهم صلاح لهم وسر بالأمانة والشهد
أولاء علم في مجاميل غلسة أولئك نور في فلاح من النمط
ومأثور في جميل خموليهن لهم منهم تعلو السما كيز بالسعد
أبادهم صرف الخطوب وغودروا بصير الفلاة نسبة الزند والصلد
فكم من صريع بين ذبح وفارح عن الالف تنشو النكال عن الصلد
عفى بينهم من الاعاجم واعتدى بصغر الكتب لحمة الذكاء كالرد
فمن فخر تسعينا وراغ مصعبو وفاح وفي ترح بد غير منقط
وما عادوا الاخر فينا تريثوا نرامو وواء بالمكايد والحقد
فيمن الشر الكفور افواج وكم وتبلى الغزاة من في المجاهد والفهد
فلا غرو ان صاروا أفكلا منة بنا من وعنه في لب على نفسه تبكي
فترى فخر للانام عبوره ولا امر للهم كيف من خلل النقط
فما خلفت الأقلام خلف الحوادث ولا الكبر المغرار نووا على العزة
ولا قمعت أيدي الحوادث عزنا ولا بحث نجم المغاوي بالنوك
ولا غضب الزمن الغشوم أخانني ولا امثل الغضوب العضوب اخانو
فينهضه عن الاغلال نعشا الجدة ونجد الى العلياء والهمة الزكية

وكان غريبا في الصنائع جاميرا   وفاق لعلم ذا التجاويد والعميد
وحاكى بتغبير من خطه الحكم ما   وفاز بذكر في الكتب والحاف الإدى
وأعرق على عرض المروءة بروما   وفاز لدى الأفضال من سمة الحميد
ويساجل مجال المرء بالرفع فاجيا   وفاوح بفوح العرف فاجد الأبيد
وأدى الى الماهي افعل فعامد وإن   ولا يحلمنه الشيخ في شرى النشيد

انتهت ولد رحمه الله أقطام كثيرة ● وتوشيحات أميرة ● وتجمع ورمع ● ورابع وتربيع ● بذكره من حمده إلى مماة القد ●

كمل النصف الأول من كتاب البدور الضاوية
في مناقب أهل الزاوية الدلائية
ويتلوه إن شاء الله النصف
الثاني وأوله الفصل الثالث
في ذكر الشيخ سيدي عبد الخالق
ابن الشيخ سيدي محمد بن سيدي
أبي بكر الدلائي رضي
الله عنه

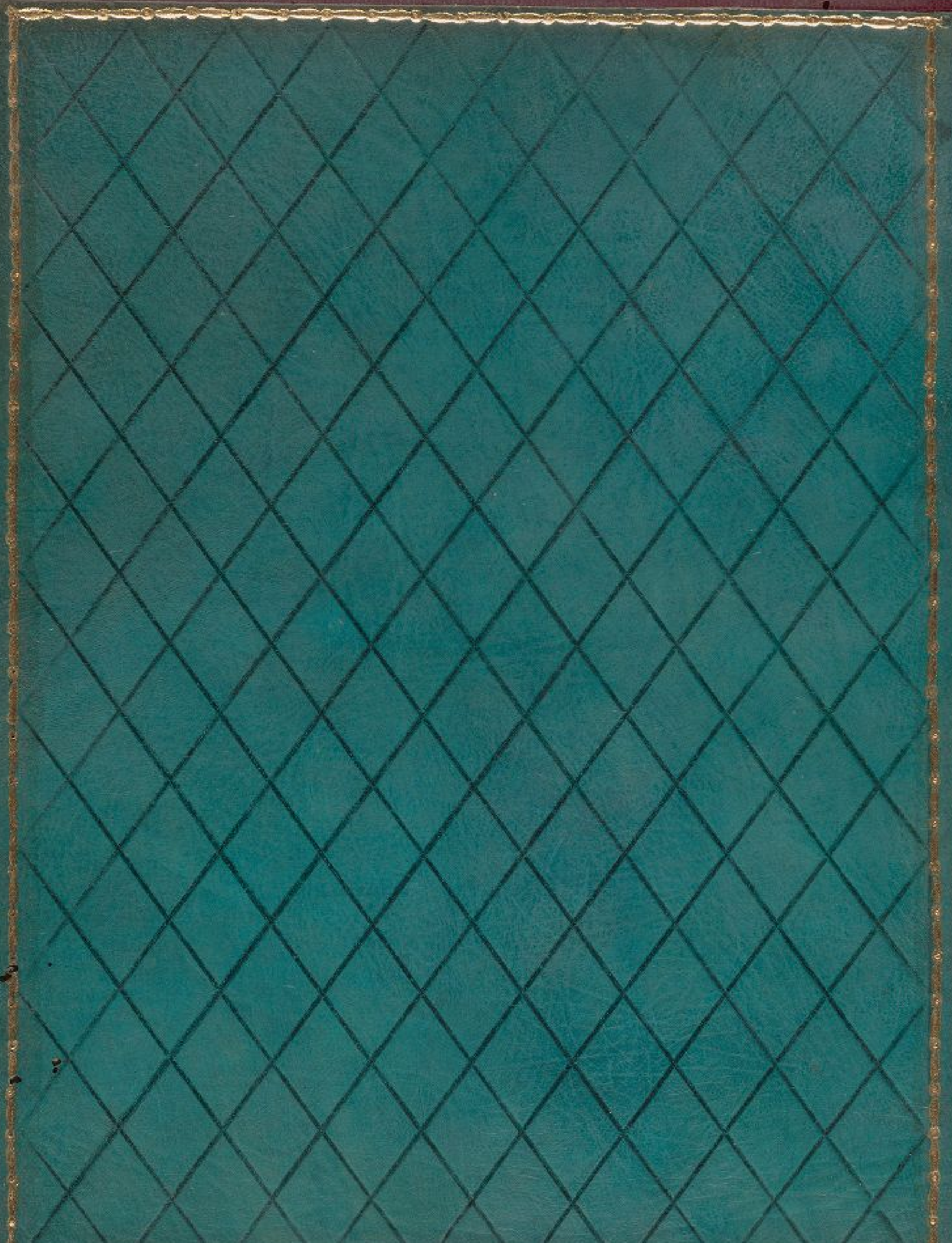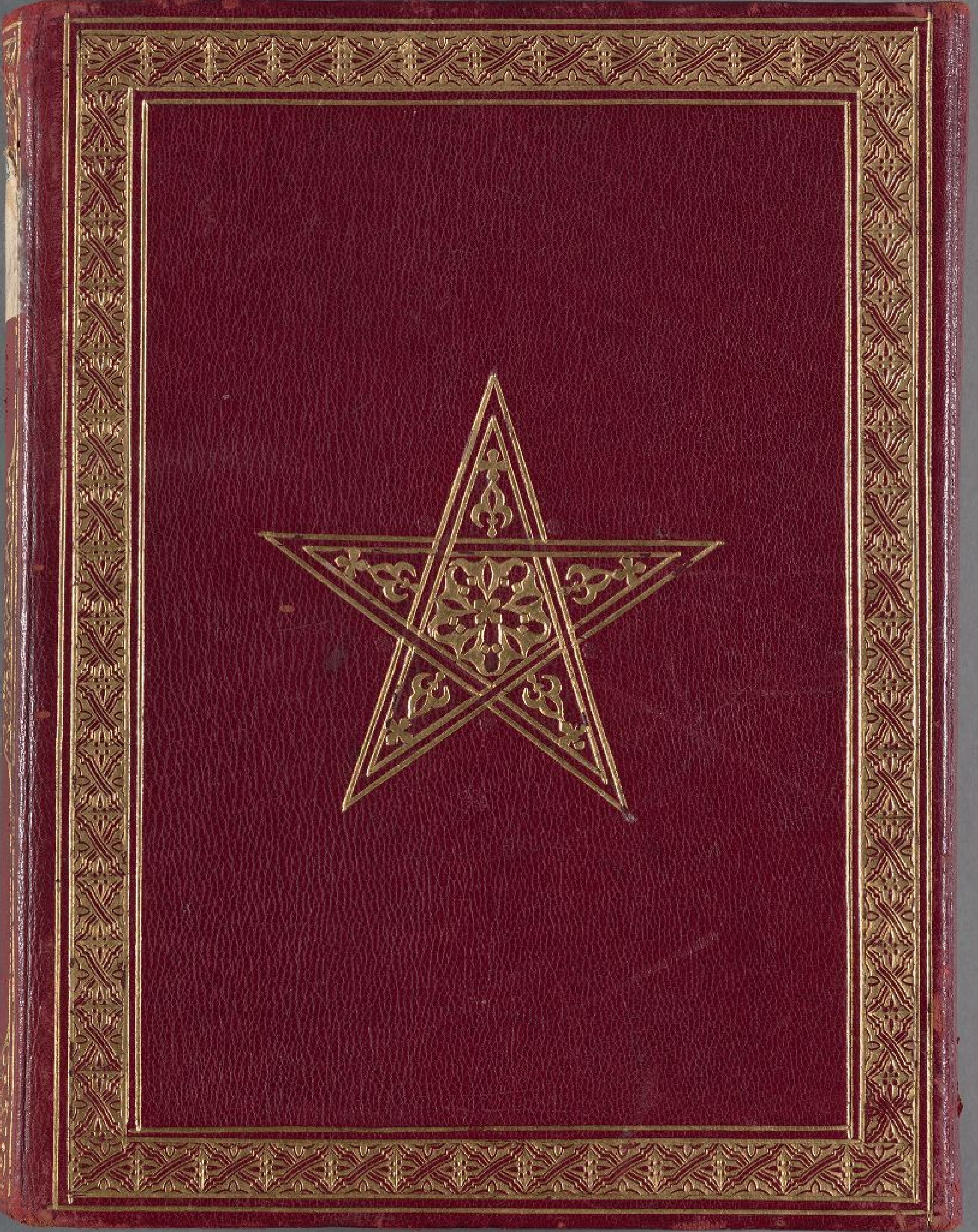MS Arab 433
THE HOUGHTON LIBRARY
transfer from Widener Library